

محمد سعيد القشاط



من الى ظفار السافيه الحمراء



دار لبنان للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمد سعيد القشاط

من ظفار

الى
السائقين الاحمراد

الناشر
دار لبنان للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الهدى

- إلى كل شهيد سقط من أجل أعدو كلمة الحق
 - إلى كل نائر يدافع عن كرامة أمته ووطنه
 - إلى ثورة العرب الكبرى من الخليج إلى المحيط
- أهدي هديتي الثمينه هذا .

محمد سعيد القساط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أعزائي القراء .

في هذه الظروف التي تتكالب فيها قوى الاستعمار العلي من المبطن على اقتسام أمتنا العربية وتراها المقدس .

في هذه الآونة . مكنتني الأقدار من الوقوف على ثورتين عظيمتين ، يخوض رجالها الكفاح المسلح دفاعاً عن كرامة العرب ، وعن أرض العرب .

الثورة الأولى في عُمان في منطقة ظفار . حيث يطالب رجالها بتحرير المنطقة من القواعد البريطانية . وطرد النفوذ الإيراني المتمثل في القوات الزاحفة الطامعة من طهران إلى أراضي الخليج العربي وجبال العرب ومنتجعاتهم .

والمطالبة أيضاً بتوحيد الأجزاء المتناثرة على ضفة الخليج . والمقسمة بين العشائر والمشائخ . وهي أعجز من أن تدافع عن خيمة . ويكفي أن جزيرة أبو موسى لم تجد من يدافع عنها غير ستة من الرجال قتلوا ليعيش المشائخ .

والثورة الثانية على ضفاف المحيط الأطلسي . يخوضها رجال أفخر أن

الدماء التي تجري في عروقي لها نشب بتلك الصحراء .

فمنذ عام وثلاثة أشهر والرجال يقبضون على أزندتهم يتنقلون على ظهور الجمال تحت حر الهجير يقاسون الجوع والعطش من أجل تحرير جزء من أجزاء أمتنا الغالية ألهى الكثرة من العرب نفطهم عنها .

وأنا أكتب هذه المقدمة في مصائف لبنان ، وأشهد البذخ الذي يعمشه أمراء النفط وذوهم ، والسيارات الفارهة التي لا يفقهون منها إلا مقعد القيادة والجلوس عليه .. أشعر انني أتمزق من الداخل بعد معانيتي للجوع والعري الذي يقاسيه شعب الصحراء وثورة الصحراء . وكذلك شعب عُمان وثورة عُمان .

متى يصلح هذا الخطأ في التركيبة العربية ؟ ..

ومتى يتعافى أمراء الجزيرة من تخممتهم ليتعافى الجياع العرب من جوعهم ؟
متى تتحد هذه الثورات المتناثرة في ثورة واحدة عارمة تحطم الأخطاء والمخطئين . وتبعث أمة العرب من جديد . وتعيد للجسم العربي شبابه وقوته وعافيته ؟

ان الإنسان ليخجل من جيله حتى البكاء ، وهو يقرأ عن زوجة أحد الرؤساء العرب وهي تنثر الليرات الذهبية على الحاضرين في عرس ابنتها . وهو يعلم أن شعب تلك السيدة يتقاتل على فتات الخبز ، ويشرد في البقاع طلباً للرزق .

وإن الإنسان ليخجل حتى النخاع ، وهو يسمع عن ملايين الدينارات تصرف لاستقبال نكسون والشعب العربي تسحقه المجاعة .

والإنسان العربي يتميز غيظاً وهو يشاهد بعض العرب كالعملة الزائفة يهتفون للشرق أو للغرب دون أن يبحثوا عن تراثهم ودون أن يبعثوا انسابهم العربي المؤمن المخلص في داخلهم .

ان مستقبل هذه الأمة بيد الشباب وإني لأراه باسماء بإذن الله .

وإن ربط هذه الثورات في ثورة واحدة متصلة عارمة . هو أيضاً بيد
الشباب .. واني لأراه قريباً بإذن الله .
« وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

محمد سعيد القشاط

بيروت } ١٣ رجب ١٣٩٤
١ أغسطس ١٩٧٤

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

من ظفار الى الساقية الحمراء

سواي منعم تؤويه دار	بقصر لا يطاوله الغبار
ويصبح نائماً وتبيت غرثي	حليلته ويلهيه النضار
وللاسبان في الصحراء عسف	وتصلى من بني كسرى (ظفار)
وفي (شنقيط) تلتهم المنايا	جياً ثم يخفيها القفار
وفي أرض الجزيرة كم ديار	تخرّبها المجاعة والصغار
وفي القدس الشريف ذوات خدر	يلطخ وجهنا منهن عار



أيا أم البنين كفى عتابي	وتسألني متى ينهى السفار؟
وضيقك من ليال طال فيها	تذكرنا وقد جمع الصغار
فما دامت جوائننا بذل	مهضة لا تطير ولا تطار
فهذاك الخليج يعج ناراً	وباروداً يشعلها التتار
وساقية المحيط تمور غيظاً	بلا سند بها الأحرار ثاروا
تريني اغبر الفودين شعناً	أدور مع الكواكب حيث داروا

إذا ثارت ('عمان) وجدت فيها
وأشدد للربى الحمراء رحلي
فقومي من (دمشق) إلى (المكلا)
وبين مواقع الثوار أحياء
وأناث السجين بكل أرض
يراعى للعروبة صوت حق
ألفت لوافح الصحراء حق
جلست عشية فيها وحيداً
أريدك تفهمين جراح قومي
لهم قولي مع الثوار يضحي
ويذكر دائماً .. بل كيف أنسى

تعانقني على شغف - (سحر)
إلى أن يطرد الليل النهار
إلى أرض بها شيدت (أطار)
صدى صوت المدافع حيث أروا
لها عبرى إلى الدنيا مسار
وئورتنا إلى الدنيا منار
بدت خلف العجاج لنا (بشار)
وطيفك ما نأى عنه المزار
وعني حين يسألك الصغار
ويمسي سوف يرجعه انتصار
ليال في (طرابلس) قصار ؟

بشار - جنوب الجزائر

٣ مارس ١٩٧٤

ظفار

١ أغسطس ١٩٧٣

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

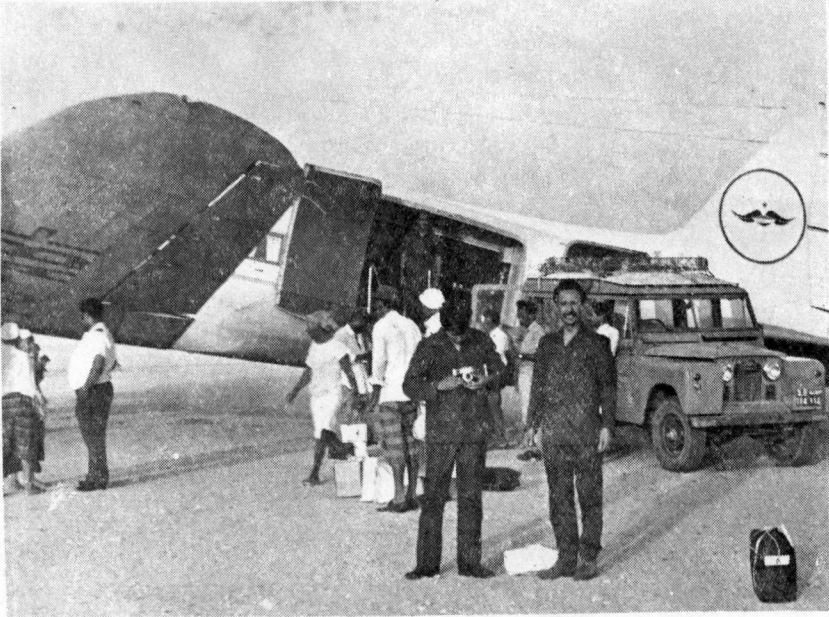
على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

بعد أن قضينا قرابة الخمس ساعات نتمرجح في طائرة صغيرة أقلعت بنا من مطار عدن متجهة صوب الشرق . تهبط بين الحين والآخر في المطارات الصغيرة فنقمى بها اقماء الذئب ، وتطير فوق القمم الشوامخ كما تطير الجرادة .

ضاعت علينا ساعة من الساعات الخمس ونحن في أرض فضاء قليل انها مطار (قشن) لا أنيس فيها ، استعملت الطائرة منبها فسمعه مندوب الشركة الذي جاء في سيارة كبيرة ، وجلس في مؤخرة الطائرة يحاسب الجماعة ويتظلم من ضالة راتبه ، دون أن يشعر بأدنى حرج في أنه أضاع الوقت علينا . الأمر الذي جعل قائد الطائرة ينطلق بها على الأرض والشيخ بداخلها بعد أن أعجزته الحيلة في إنزاله ، ولم يقف القائد بطائرته الجرداء إلا بعد أن وقف أحد المواطنين يلوح ببندقيته متوعداً فانصاع هذا لإنزال الشيخ وانطلق دون أن يحكم قفل الباب .



بعد أن قضينا تلك الساعات نزلنا « بالفيظة » - إحدى قرى حضرموت -
حيث أفلتتنا سيارة ، طاوية ، برفقة مجموعة من الثوار لتلقي بنا بعد مسيرة ثلاث
ساعات أخرى في قرية صغيرة قيل ان اسمها « دمقوت » تتوسطها خيمة
متوسطة ، هي بيت الضيافة للأخوة الثوار .

ولجناها وبقايا الشفق الأحمر تفرق خلف القمم ..

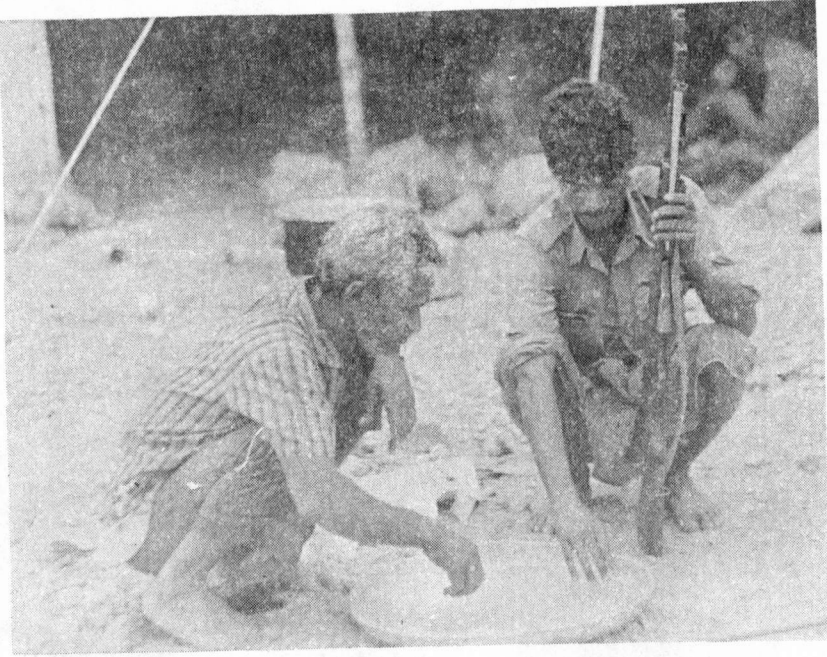
كانت الانارة ضئيلة ، والمصباح مغبش الجوانب يتربع فوق صندوق حديدي
هو الأثاث الوحيد في هذه الخيمة - فتح فيما بعد ليخرجوا منه لنا الشاي
والسكر - .

كانت عيون الرجال تقدح الشرر حول المصباح وسط الظلمة ، وتبينت في
وجوه الجالسين قبلنا ملامح امرأة تبرز بين الرجال لا يميزها شيء بينهم
اللهم إلا اطالة قليلة في شعرها الأجمد ..

كان الجميع يقبضون على بنادقهم بما فيهم المرأة ، ويتمنطقون بأحزمة
الذخيرة ، نحن الوحيدون الذين كنا عزلاً من السلاح - وما أسوأ أن يكون
الإنسان أعزل بين المسلحين - إذا ما استثنينا مسدساً يربطه كل منا بحزامه
كشعار بأننا دخلنا منطقة الثورة ..

لم تكن الخيمة ممهدة الأرض ، ولم يكن بها أي أثر لشيء اسمه الفراش ولقد
كان بعضنا لم يألف النوم على أمتا الأرض دون عازل ..

جلسنا منهكين من التعب وكان على رؤوسنا الطير ، ينظر كل منا إلى عيون
الآخرين ، وغرق أحد الرجال في الظلمة وبعد قليل أقبل يجرجر عنزاً اشتراها
لضيافتنا أصبحت في ثوان لحماً يطبخ في قدر كبير مع الأرز ، دلق ذلك في
قصعة كبيرة مسطحة تجمهرنا حولها نزدرد بالأيدي ذلك الخليط من اللحم
والأرز ، وافترشنا الحصى وتناومنا مع النائمين ..



سبعة رجال وعنز

قبل انبلاج الفجر بقليل قمنا دون أي جلبة وقد عبأ كل منا « مطرته » بالماء وجمع لوازمه في بخلة شدت إلى الظهر .. وتمنطق بسلاحه ، وسرنا نتتابع كالذئاب دون أي ضوضاء فالسكوت في هذه المناطق من ذهب .

أصر أحد الثوار أن يصطحب عنزاً لغدائنا وأن يجرها بجبل خلفه ، وقد كنا جميعاً في وضع يثير الشفقة ، وكانت العنز المسكينة أسوأنا حظاً .. الطريق كمسرب النمل يتعرج بين الصخور السوداء قاصداً قمة الجبل في صعود متعب .. ونازلاً للوادي السحيق في انحدار قاتل .. وعلى يميننا بحر العرب ، يصطخب بأمواجه .. مئات الأطنان من الماء ترتفع عالياً وتهوي إلى الأعماق السحيقة كما تهوي الأمم بعد صعودها الشامخ .. جميعنا لا نتحدث ، وكل منا يريد أن يوفر الجهد الذي قد يبذل في الحديث للسير ، وأراد أحد الأخوة أن يلطف جونا بالأمني قائلا :

لو لم يكن قدومكم في هذا الفصل لقطعنا الطريق بجرأ ، إذ أن البحر طيلة أشهر يوليه وأغسطس وسبتمبر لا يمكن الدخول إليه ، أو الإبحار فيه من كثرة الدورات ..

العز أماننا تتدلى أحياناً في الجبل والناثر « ويدعى بجيت » يقفز فوق الصخور أماننا في خفة وقوة ويجرجرها كما يجرجر الأطفال خرق القماش في لعبهم ، وقد أعلنت المسكينة احتجاجها مراراً ولكنها آثرت الاستسلام في صمت عندما وجدت أن الصباح يكلفها جهداً ضائعاً لا فائدة منه ، ولم يجد أذن صاغية كأي احتجاج للضعفاء ..

تتابعنا في الطريق ، كل منا يسير خلف صاحبه ، مشدوداً إلى الأمام لتفادي الصخور وخافة مباغتة أحد الانجليز أو (البلوش) الذين يشتغلون في خدمة السلطان قابوس ويرتزقون من القتل ، فقد يطلقون علينا النار إشباعاً لهوية القتل في نفوسهم ..

طائرة ببقرة !!

وعلى ذكر إطلاق النار ، فلقد صادف يوم وصولنا أن أسقط الثوار طائرة كان يقودها أحد الضباط الانجليز . يغير على السكان الأمنين ، يقتل الناس والحيوان ، ويلبس « شورتا » قصيراً وقميصاً صيفياً وكأنه في إجازة الأسبوع .. وقد كان هذا الشاب المفرور ينزل بطائرته إلى قرب الأرض مصوباً رشاشها إلى الأهلين باحثاً عنهم في الأحراش والصخور ..

وقد صادف أن كان بعض الثوار بالمنطقة ، فكما يتسلى بإطلاق النار على الصخور عليها تكون هي الأخرى نائرة ، كان الثوار هم أيضاً يتسلون بإطلاق النار عليه من بنادقهم العادية .

وأخيراً تمكن الانجليزي من قتل ببقرة وإصابتها إصابة مباشرة ، وصار ينقض عليها ويرتفع فلربما تعود لها الحياة ، ولكن الثوار قاibusه وكانت مقايضة

عسيرة ، فأبقار الثوار غالية الثمن ، إذ استطاع أحدهم أن يصيب الانجليزي إصابة مباشرة في رأسه وفي جنبه هوت على أثرها طائرته إلى الأرض متناثرة إلى ثلاث قطع ، كان هو يتربع ميتاً في القطعة الأمامية ، ولقد حاول الثوار نقل الجثة وتسليمها للهلال الأحمر ولكن طائرات زملائه كانت أسرع منهم إليه فلقد أمطروا الطائرة بوابل من الرصاص لتحطيمها وحرقها وحرق الخرائط ، التي بداخلها ، وإزالة ما يدينهم ، ويثبت تواجد الانجليزي في المنطقة ، ومع ذلك فقد تحصل الثوار على كافة الخرائط ودفنوا إلى جانب الطائرة بقايا جثة ذلك البريطاني التعميس ..

ان طائرة ببقرة ثمن لا يصدق ، ومع ذلك حدث ، ولكن من أجل ماذا يموت هذا الشاب الانجليزي الذي لا شك أن زوجته وأولاده ينتظرونه خلف البحار ؟ .. انها السياسة « وعلى الأصح سياسة الجريدي الذي حشر نفسه بين المسجونين السياسيين . ولما قيل له ان جريمتك اخلاقية قال كلها سياسة » .

الى القمم

كانت هذه الأفكار تدور في خيالي ، وأنا أسير خلف أحد الزملاء .. لقد أصبحت الطريق تتجه بنا إلى أعلى .. إلى أعلى .. إلى أعلى القمم التي ما تبلغ نهاية الواحدة حتى تبدأ الثانية ، وكانت أرجلنا - مع ارتفاع الشمس في وجوهنا - تخور .. وقوانا تضعف .. وحلوقنا تجف وتنشف ، لم ترطبها جرعات الماء التي يتناولها كل منا من مطرته على انفراد ، ولقد كان كل واحد منا يخشى أن يعلن عن تعبهِ فيستهزئ به الزملاء . وكنا نحن - جماعة الصحافة - نحاول في جهد جهيد أن نعلن للثوار أننا لسنا بأقل منهم صبراً وجلداً .. وتوغلت الطريق في الصخور إلى الأعلى ، وكان الرجال المسلحون يصادفوننا في الطريق فنقف حتى يمرؤا أو يقفون حتى نمر ، وكان التسليم بالعناق يتم بين أهل جنوب الجزيرة العربية ، وكنا نققدم في ذلك بعد أن لبسنا ملابسهم ..

وقبل أن نبلغ القمة ارتمينا مراراً تحت ظلال الشجيرات الصغيرة والصخور
الناتئة . وعندما بلغناها كان الهواء مخلصاً تماماً .. وأصبح الشهيق يتم بصعوبة
فجلسنا نسترد الأنفاس ونستعد للهبوط ، وهكذا بقدر الصعود يكون الهبوط ..



فانحدرنا بشدة وكانت أحدىتنا تضغط على مقدم الرجل فتحدث في الأصابع
أوراًماً تؤلنا في السير ، وقد كانت أيدينا سندا لنا على الأحجار الباركة التي كثيراً
ما جرفت حقائبنا عند الدوران سع ملامح الطريق .. أصبحت المياه تنفد
أولاً بأول ، وأصبحنا ننظر لبعضنا نظرات استجداء لجرعة ماء عند كل جلسة
نرتيمها على صخرة ..

وفي زحمة الإرهاق صعوداً وهبوطاً غاب بين الصخور زميلنا نجيت وهو
يجر عنزه ، وعند وصولنا بعد منتصف النهار إلى مورد للماء يسمى
(مرارة) وجدناه قد شواها شيئاً لذيذاً أكلناه بشراهة بمثل الشراهة التي
شربنا بها كؤوس الشاي بعد الطعام ، وعلى ذلك المورد وجدنا مجموعة من
الفتيات الجليات بلباسهن المزر كش الجميل ، ذكرني بصويحات امرئ القيس

اللواتي نحر لهن جملة ، وبالرغم من اننا نحرنا عنزاً فإننا لم نستطع أن نقدم لهن إلا قليلاً منها نظير « صخان » كبير من الشاي جدن به علينا .
وعند العصر قمنا لنواصل السير فلم تطاوعنا أرجلنا بل كأنها قيدت « بأمراس كنان إلى صم جندل » .. على قول الشاعر الجاهلي .
وصلنا بعد لأي إلى قرية « خوف » .. - آخر قرى اليمن الجنوبي من جهة 'عمان - وقد كانت الشمس تودع القمم في رحلتها الروتينية ، وقد كنا ساعة الوصول سبعة رجال وفي بطونهم عنز ..

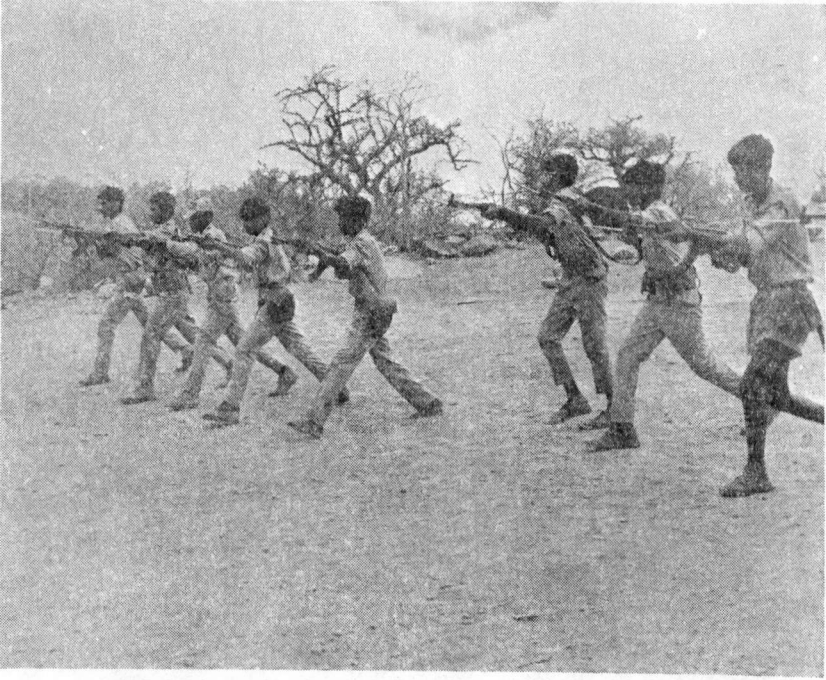
في خوف

دخلنا بعد الغروب إلى منزل شبه مظلم استقبلنا فيه ثلة من الثوار بترحيب حار ، واستلقينا على أديم غرفة شبه مفروشة بدت لنا وكأنها قصر منيف ، ولكنها مع ذلك لم تنسنا تعب الطريق ، الأمر الذي أصبحت فيه أرجلنا وكأنها قطعة من الألم تتأوه من مساسها .. وقد كان تجوالنا صباح الغد في هذه القرية مثيراً للألم وغير مريح للنفس ، إذ شاهدنا آثار الدمار الذي خلفته الطائرات البريطانية وهي تقصف المنازل التي تتوقع أن الثوار يأوون إليها .. وبالرغم من أن القرية هي من قرى الشق الجنوبي لليمن على الحدود العمانية إلا أن ذلك لم يمنع الطائرات من قصفها ، كما كانت تفعل فرنسا أيام حرب الجزائر في قصفها لساقية سيدي يوسف التونسية .. وقرية إيسين الليبية .

وفي إحدى الأنقاض التي مررنا عليها كان يرقد تحتها نساء وأطفال هم سكان المنزل ، ولم يستطع الأهالي بإمكانياتهم البسيطة من إزاحة هذه الأنقاض فبقوا تحتها حتى هذه الساعة ، وأصبح المنزل الذي نقول عنه نحن هنا في طرابلس « قبر الدنيا » أصبح لدى هذه العائلة المنكوبة قبر الدنيا والآخرة أيضاً .

بين الثوار

شرعنا منذ فجر اليوم الثاني نصعد القمم من جديد للوصول إلى معسكرات الثوار ، وقد بدت الجبال أكثر خضرة وأكثر اشجاراً تجللها السحب وتزينها زخات المطر المستمرة في جو حار ، انها الأمطار الموسمية ..



كان التدريب على أشده . مجموعة من الشباب والشابات تتقد حماساً وحيوية يضمهم معسكر من الخيم المموهة تبدو وكأنها صخرة بين الصخور يظللها الشجر ، والخيم يفتقر إلى الكثير من الضروريات ، ولكن ذلك لم يؤثر في معنويات الثوار العالية . وكانت القدور تفور بالأرز حين وصولنا .. وبعض الثوار يعدون طعام زملائهم ، وليس هناك قائد أو مقود ، فمستول المعسكر يطهو هو الآخر طعام الجنود عندما يأتي دوره لطهو الطعام .. وطعام الثوار كغيرهم من سكان تلك

المناطق هو الأرز يجتمعون عليه جماعات جماعات ، كل مجموعة على قصعة لهم بنفس الطريقة التي بها يطهى ويؤكل في موريتانيا والساقية الحمراء .

وحول مخيمات الثوار يتجمع السكان الفقراء القريبون من المعسكرات ينتظرون الجنود عليهم يجودون عليهم ببعض ما يتبقى من طعامهم الذي لا يسد رمق الجنود .. ومع ذلك يبقون منه ما يسكن جوع المواطنين .

جلسنا مع الثوار بعد أن شاهدنا تدريباتهم ، وكان الجميع يدخنون بشراهة . إذ أنه من ضمن توبيخهم يوزع على كل جندي كيس صغير من التبغ ومجموعة من الورق يتولى وحده طي سيجارته ولفها قبل اشعالها .

سألونا عن اخوتهم في الوطن العربي . وتحدثوا بمرارة عن التشويه الذي لازم ثورتهم في الوطن العربي وتصديق الاعلام العربي لما يدعيه قابوس من أنهم كفار مارقون عن الدين .. وعندما قلت لهم لماذا لا تعلنون وجهكم الحقيقي المتمثل في عروبتكم واسلامكم ، أجاب أحدهم: عندما نعلن عن قوميتنا العربية فكأننا كنا قبل ذلك فرنسيين أو انجليزاً ولكن نريد أن يطلع اخواننا العرب وحدهم على حقيقتنا التي نترجها عملاً ..

نحن ثرنا من أجل الكرامة العربية ، ومن أجل تطهير المنطقة من الاستعمار الانجليزي والزعحف الإيراني .. أليست هذه هي الحرية التي تنادون بها في الجمهورية العربية الليبية ؟

كما ثرنا من أجل خيارات هذا الشعب المنهوبة المتركزة في أيدي المستعمرين وزعماء العشائر في المنطقة لنرجعها إلى الجماهير ونوزعها توزيعاً عادلاً ، أليست هذه هي الاشتراكية التي تنادون بها أنتم ؟..

كما ثرنا من أجل وحدة المنطقة والوقوف ضد التجزئة كخطوة أولى للوحدة العربية الشاملة التي تنادون بها أنتم أيضاً .. وعداوتنا مع قابوس لم تكن عداوة شخصية ،

فقابوس هو أحد أبناء هذه المنطقة ، ولو حمل معنا هذه الشعارات وكافح من أجلها لوجدتنا جميعاً جنوداً تحت قيادته ، ولكن موقفه من احتضان الاستثمار واعطاء القواعد للبريطانيين واعتماده على المستشارين الانجليز ويكفي أنكم تعلمون ان رئيس أركان الجيش العماني هو انجليزي - كما ان تفريطه في الجزر العربية واعطاء ايران - إلى جانب جزر طنب الصغرى والكبرى وأبو موسى - جزر الحلانيات (كوريا موريا) ، وتشجيعه للغزو الايراني - فيكفي أن تعلموا أن بعض ما يسمى امارات عربية أصبح الفرس يمثلون فيها ٦٠ ٪ من السكان ويبدى جميع اقتصاديات البلاد - كل ذلك جعلنا نصفه من الاعداء ونقف منه هذا الموقف .. ولم يقف قابوس عند هذا الحد بل تجاوزه إلى طلب الجنود من ايران لمقاتلتنا ، « ومن المعلوم ان شاه ايران صرح أخيراً بما يؤكد حديث الثوار وان أكثر من ثلاثة آلاف جندي ايراني يقاثلون الثوار في عمان بطلب من قابوس ».

ان عروبتنا واسلامنا ليسا مدار نقاش واننا نتوق إلى اليوم الذي تصبح فيه هذه المنطقة حرة موحدة ويعود اليها الدين ناصعاً وتقبل الخمرات ودور اللهو التي سمحت باقامتها السلطة في مسقط والامارات ..

كان هذا هو حديث الثوار الذي يروونه مجتمعين أو على انفراد ..

في خيمة القيادة

اقتدنا مساء إلى قمة عالية قيل لنا أن هذه الليلة ست نصب بها خيمة متنقلة للقيادة لنجتمع فيها بالأخوة اعضاء اللجنة التنفيذية المركزية .. والقيادة في جيش الثوار هي اللجنة التنفيذية المركزية وهي تتكون من عدة أشخاص يتولون المسؤولية التنفيذية لمقررات المؤتمر العام الذي يعقد بين الثوار في كل عام تقريباً .. ولكل منطقة أيضاً لجنة تنفيذية مصغرة .

قدمنا للخيمة قبل الغروب بقليل فوجدنا في حراستها مجموعة من الشباب الشداد ، إذ أن في القمة المقابلة يقع مركز « صرفيت » وهو مركز منقطع أقامه السلطان كمحاولة للسيطرة على مدخل الجبال ، ولكن المركز أصبح كالمفى يأتيه التموين عن طريق الطائرات العمودية ويهاجمه الثوار بمعدل مرتين في اليوم ويجانب الخيمة إلى جانب الجنود برشاشاتهم ينتصب مدفع مضاد للطائرات ، ولو ان الفترة التي زرناهم فيها كانت فترة سلام تقريباً لعدم استطاعة الطيران التحليق على المنطقة لشدة الضباب ، ويجانب المدفع المضاد ينتصب قدر عظيم تطهى فيه شاة هي عشاؤنا هذه الليلة .



دخلنا الخيمة بعد عناق حار بيننا وبين الأخوة أعضاء اللجنة التنفيذية المركزية ، وعرفونا على بقية زملائهم الذين لم يسبق لنا رؤيتهم ، وجلسنا في دائرة يتوسطها مصباح من الكيروسين اضاء وجوهنا ولكن اقفيتنا زادها ظلمة

فأصبحنا كلوحة زيتية لمجموعة من الرعاة أمام موقد .. كان كل رفيق - كما يحلو لهم تسمية بعضهم - يضع رشاشه على ركبتيه ، وخلف الخيمة في القمة كنا نسمع وقع خطوات حافية لجنود الحراسة .. كانت تنورات الاخوة قصيرة جداً حتى انها تبدو « كالمني » وعندما لبسناها نحن لم تكن متقنة كما هو الحال في كل تقليد اعمى ، وقد ظهرت سيقاننا المجاف من تحتها واعطاها نور المصباح في عتمة الليل شكلاً أقرب ما يكون إلى عروق الشجر العارية . وبعد أن قعدنا على ركبنا لنزدرج قصعة الأرز واللحم التي أعدت لنا جلسنا نحتمي أكواب الشاي المر .. ويشرح لنا أعضاء اللجنة أهدافهم والأسباب التي ثاروا من أجلها فلم يزيدوا شيئاً عما قاله ذلك الجندي الثائر في المعسكر عندما مررنا على الجنود في خيمهم وقت الظهيرة ..

ذكريات الشوار

تشعب بنا الحديث والحوار وأخذنا فيه كل صوب لنديره في النهاية إلى الحديث عن الثورة في ظفار أو عمان والخليج العربي التي تفجرت يوم ٩ من يونيو ١٩٦٥ بسبع بنادق ومسدس واحد .. وستين رجلاً عزلاً من السلاح ..

والشيء الذي يتعب الصحفي أن هؤلاء القوم ينكرون ذاتهم لدرجة لا توصف ويرفضون الحديث عن أنفسهم بالرغم من بطولاتهم النادرة . ويعتبرون ذلك من الأشياء غير المحببة بل والمرفوضة قطعاً ، ولكننا بعد لأي استطعنا أن ننتزع من أحدهم مغامرة قام بها ومجموعة من رفاقه لجلب أسلحة ..

كان ذلك عام ١٩٦٥ والثورة في بدايتها ، ولم تكن لنا أسلحة ولا ذخيرة وقد فشلت قبل ذلك ثورة الجبل الأخضر لأن قادتها هربوا بما فيهم الإمام غالب الذي قامت الثورة من أجل الإمامية ، وبالتالي من أجله هو ، فذهبنا بمجموعة من

الرجال لإقناع الإمام بإعطائنا ما بحوزته من السلاح . واستطعنا بعد جهد جهيد أن نتحصل منه على ثلاث سيارات محملة بالأسلحة ، ركبناها - نحن الثلاثين - وشققنا بها الصحراء بجانبين الربع الخالي من وسط الجزيرة العربية ، وقد كان قرب حدود عمان بئر ماء يردها كل قاطع لهذه الصحراء مضطراً لذلك ، وقد علمت السلطة بتحررنا فأرسلت فرقة من الجيش رابطة على البئر في انتظارنا معدة لنا كمينا للقبض علينا وعلى ما في حوزتنا وإبادتنا ..

وعند قدومنا للبئر فوجئنا بالقوة فاشتبكنا معها في معركة ضارية ، كل منا يدافع عن مصيره ، وبعد قليل هاجمتنا الطائرات واستطاعت أن تدمر وتفجر اثنتين من السيارات الثلاث ، وتمكن أحد زملائنا من الهروب بالسيارة الثالثة بحمولتها وإبعادها عن مكان المعركة .. وانسحبنا بعد عدة ساعات من القتال ملتجئين بسيارتنا لنقل أحد جرحانا جاعلين من الليل ستاراً لإخفاء ذخيرتنا وسيارتنا عن أعين الطيارين عندما يتبعوننا في الصباح .

تكدسنا فوقها نحن جميعاً وسارت بنا تمرج من اليمين والشمال فليس هناك طريق يمكن أن يسلك ، واستمرت تتأيل عدة ساعات إلى أن وصلنا الجبل ، وحاولنا صعوده بدون طريق ، وكنا جميعاً ندفع السيارة دفعاً إلى أن أوصلناها للقمة ولا بد من إيصالها إلى الوادي حتى لا تترى ، وفكرنا في أنها إذا تحركت إلى الأمام متراً واحداً فإنها ستهوي إلى أعماق الوادي وتتحطم بمن فيها وما فيها .. وقد كان سائقها شخصاً متزوجاً وعنده أولاد . وكنت أنا أعزب لا زوج لي فطلبت من الإخوة أن أقود أنا السيارة إلى الوادي فإذا ما سقطت بي لا يؤثر ذلك في أحد من بعدي بعكس زميلي ، وأرغمنا زميلنا على تسليم السيارة والتنازل عن قيادتها إذ اعتبر هو استبقاءه نوعاً من الإهانة وحرماناً لمن التضحية .

قبضت المقود وتحركت السيارة من محلها وشعرت أنها تندفع بي للهاوية فأدرت عجلة القيادة إلى اليمين فاصطدمت السيارة بصخرة كبيرة أوقفها وجعلت كل حولتها تنكفيء إلى الشمال .. وهنا طلبت من الرجال أن يربطوا السيارة بالحبال

من الخلف وأن يسكوها ويزيح أحدهم الصخرة ، وأن يجذبوها للخلف وما أن أزيحت الصخرة حتى اندفعت السيارة للوادي في شيء من اليسر .. إذ أن الرجال كانوا يجذبهم لها من الخلف كالمظلة التي تخفف سرعة الطائرة .. وسرنا على هذا الحال عدة أميال إلى أن اعترضني الجبل من جديد ، ولما لم أجد وسيلة لاجتيازه أنزلت الذخيرة وتركت في حراستها بعض الإخوة ورجعت إلى بقية الإخوان الذين تركتهم بجبالهم في الجبل واصطحبت أحد البدو ليدلني على موقع زملائي إذ أن الظلام أصبح حالكا للدرجة مخيفة .. وقد ركب هذا البدوي إلى جانبي فكلمنا مالت السيارة أو نزلت في مطب يقفز ويمسك في رقبتني وبصيح ، فأوقف السيارة وأخلص رقبتني من البدوي وأرجعه إلى مكانه ، واستمر هذا الحال إلى أن وصلت إلى الزملاء وعند العودة أمسكوه عني فلم يعد يستطيع القفز على رقبتني . وضحك وهو يروي ذكريات هذا البدوي وضحكنا جميعاً .. فلقد تمغننت في رقبة الأخ سامي - وهو الذي يروي لنا القصة - الطويلة ولحيته الكثنة فكأنني أشاهد البدوي وهو يتعلق بها مذعوراً ..

وصلنا إلى موقع الذخيرة ، وهنا لم نستطع التقدم بالسيارة فأخذ كل منا حمولته من السلاح والذخيرة وأودعنا الباقي عند بعض الخيام وأحرقنا السيارة حتى لا ينتفع بها العدو .. وعندما تصاعدت النيران فيها بكى بعضنا تأثراً عليها وأصبحنا كالذي أحرق قاربه على الشاطئ المعادي ، فبيننا وبين مناطق الثوار مساحة شاسعة ووعرة والماء عندنا صار ينفد أولاً بأول ..

تركنا السيارة خلفنا تشتعل وسرنا في الظلام إلى الصباح وعند منتصف النهار أخذ منا العطش مأخذه ، ولم يبق لنا إلا « مطرة » واحدة عند الأخ سالم « قائد المجموعة » الذي أمرنا بالوقوف صفّاً واحداً وأخذ يوزع علينا ملء الغطاء من الماء ليبل كل منا لهاته ، وهنا ضحك الجميع وسكت سامي ليكمل أحد الأخوة المأساة ..

كنت أنا في الطرف .. وبدأ سالم التوزيع من الطرف الأبعد وعندما وصل إلى زميلي الذي يجاني قفز هذا الأخير على « المطرة » ليشرب منها ومن بين

أيديها-وبفعل المفاجأة- سقطت المطرة من القمة التي نحن في أعلاها إلى الوادي السحيق ببقية الماء حيث تناثرت القطرات على الصخور قبل استقرار المطرة في الوادي ..



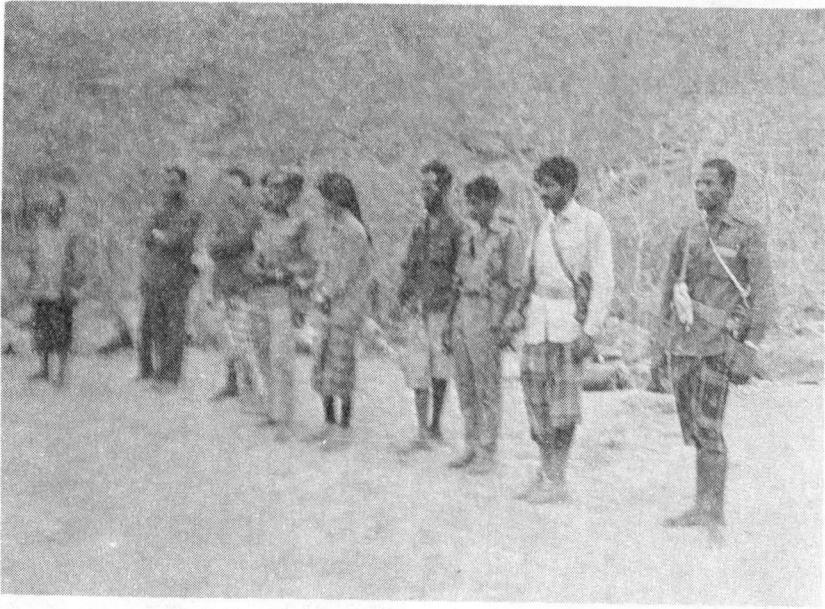
وهنا لم أمتلك نفسي فقفزت على رقبة هذا الملعون - الذي حرمني وحرم نفسه وحرم القائد من جرعة ماء تبل حلوقنا - لأخنقه ولكن الأخوة حالوا بيني وبينه وسرنا واليأس يستحوذ علينا وأصبحنا لا نرى مواقع أقدامنا التي تنتقل هي الأخرى بصعوبة من شدة العطش والجوع .. وبقينا على هذا الحال أربعة أيام أضعنا فيها أحد الزملاء نام عندما جلسنا نستريح في الليل ولم نشعر بفقده إلا ضحى الغد ، وقد التقينا به بعد مدة إذ استطاع أن يصل إلى خيم الشوار عن طريق آخر ..

وصلنا أخيراً إلى بئر ماء وبقينا عليها قرابة نصف يوم نشرب الماء ثم يندفع من بطوننا إلى الخارج كالنافورة لنعود فنشرب من جديد حتى استرحنا ، وفي هذه الأثناء مر بنا رجل يحمل على جملة حملاً من الذرة تبرع لنا بحفنة منها

ذهب بعضنا يبحث عن حديد ليقلها لنا فيه ، ولما رجع وجدنا نلتهمها نيئة فأخذ نصيبه . وأكلناها نيئة ، وهي أول أكلة نأكلها بعد ستة أيام من الجوع والعطش ..

وتحدث الأخوة الآخرون عن ملاحم بطولية وانتقل الحديث إلى نوادر الحرب ..

وفي آخر الليل امتدت يد أحد الثوار لتطفئ المصباح بعد أن اتكأ كل منا على جنبه متوسداً حقيبته أو حذائه أو بندقيته أو حجرة .. وكانت الحراسة طوال الليل بالتناوب ، وفي الهزيع الأخير كنا نسمع أصوات المدافع والرشاشات في المناطق المجاورة ، وبعد صلاة الصبح لم يتمكن زميلنا البدوي من حلب النياق



الواتي جدن علينا ليلة البارحة بقدح من الحليب هو لاشك بالنسبة لنا نعمة لا تعوض . فلقد سبقه عليها أحد البدو من سكان الخيام فحلبهن ليفغذي صغاره الجياع وقد كان - والحق يقال - أولى به منا ...

جولة في المزارع

خرجنا صباح ذلك اليوم لزيارة المزارع التي يزرعها المواطنون فوق قمم الجبال وسفوحها ، معتمدين على مياه الأمطار التي ما انفكت تهطل طيلة اقامتنا هناك ، وكانت السحب الجبلية تمنع الرؤية والأمطار تجعل من الطريق تسليمة للدرجة أو الترحلق ولهذا صرنا « نمشي كما يمشي الوجي الوجل » ..

وعلى امتداد السفوح يسكن مجموعات من الناس في كهوف ومغاور في الجبل أو في خيام مهلهلة .. أكل الدهر شباههم كما أكلت سنوات الحصار مواشيهم ، يحفرون الأرض بالعصي أو بحارث بدائية ليزرعوا حفقات من الذرة أو البقول ما أن تصفر سيقانها إيداناً بالحصاد حتى تهاجمها طائرات الانجليز لتحرقها ببراميل النفط انتقاماً من المواطنين وقتلهم جوعاً على رأي السلطة في عمان .. وقد صمد هؤلاء الناس رغم المحن طيلة التسعة أعوام السالفة بدون أرز وبدون سكر وبدون شاي وحتى بدون ملابس متخذين من لحى الأشجار شاياً ومن حشائش الأرض طعاماً ، مفضلين ذلك على البقاء جنباً إلى جنب مع القواعد البريطانية وقوات ايران الزاحفة على الخليج مدنية وعسكرية ..

هل البقر أذكى من الابل ؟..

هذا ما يؤكده الناس في ظفار .. فالسلطة لم تكتف بحرق المزارع وقتل الناس بل تعدتها إلى قتل الحيوانات التي كثيراً ما تهاجمها الطائرات وتقيم فيها مجازر محزنة ، فلقد هاجمت الطائرات في إحدى هجماتها قرابة ثلاثئة بغير تجمعت خوف الخطر تركت أكثر من ثلثها ممزقاً .. وقد روى أحد شهود العيان انه شاهد بعض النياق وقد سقط جنينها من بطنها يتخبط بجانبها وهي لا تزال حية ..

ولم يكن لهذه الابل ذنب سوى انها في حوزة الثوار .. ولكن الطائرات لم تستطع قتل كميات كبيرة من البقر .. إذ ان هذا عندما يسمع أزيز الطائرات يتفرق في المغاور والكهوف والأشجار فلا يظهر منه للطيارين شيء ، ولم يكن ذكاؤه مبرزاً في هذه الناحية فحسب بل انه يفر هارباً عندما يشم رائحة الجنود الايرانيين والانجليز، ويصدر أصواتاً مدعورة، فيتنبه المواطنون الثوار إلى أماكن جنود السلطان الذين يحاربهم الناس والطبيعة والأبقار أيضاً .

في مستشفى الثورة

وفي ركن من أركان المعسكرات يربض مستشفى الثورة .. مجموعة من الخيام والصفيح وكميات قليلة من الأدوية ، ومجموعات كبيرة من المرضى معظمهم يشكون من سوء التغذية وفقر الدم يحوم عليهم طبيب واحد فلسطيني يعيش بين الثوار حافي القدمين عاري الساقين في حاجة هو الآخر للعلاج ..

أنس فينا هذا الدكتور كفاءة لحل مشكلته المعقدة إذ انه يرغب في إتمام نصف دينه .. ولكن المواطنين يرفضون تزويجه من إحدى بناتهم لأنه أحمر اللون وهو بهذا يشبه الكفار .. وكلما خطب امرأة قالت « عفر كفر » أي أحمر كافر واستمعنا له ليلة كاملة يبثنا شجونه ومع ذلك عدنا ولم تحل مشكلة الطبيب .

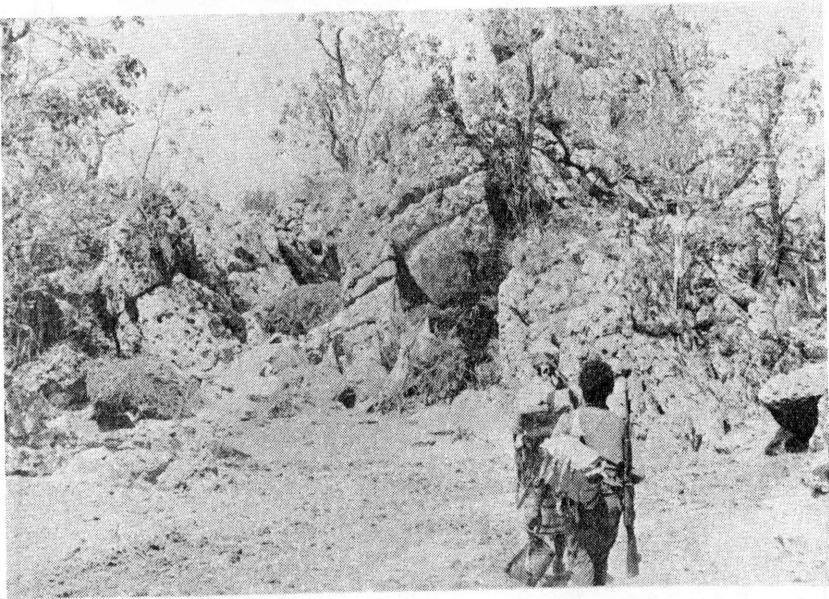
المدارس

وبعد المستشفى الذي يحتاج مرضاه إلى الطعام والذي هو علاجهم الوحيد ، سرنا إلى المدرسة ، حيث يجلس أبناء الثوار على الحصى يقتني كل فصل كتاباً واحداً .. ويجتهد المدرس في إعطاء الدروس حسب إدراكه .. وإلى جانب الأطفال الذين يأكلون ويدرسون وينامون في خيمة واحدة هناك السيدات

اللواتي جئن ليمحبن أميتهن .. ولعل القاسم الوحيد بين الكبار والصغار في مدارس الثورة انهم لا يملكون من وسائل التعليم إلا التصميم وحب التعلم كما يشتركون أيضاً في ألبستهم التي ينقصها الكثير ومع ذلك فإيمان هؤلاء الناس لا يوصف، وتصميمهم لا يحُد، وإرادتهم لا تَلين، وقد كان الترحيب الذي نسمعه أنسى ذهبنا هو « مرحبا بخوتنا المسلمين » ولو أن العجايز يرطن بلهجتهم الحميرية أو كما يسمونها « الجبالية » ولكن حديثهن يفسر لنا في حينه ..

طريق العودة

حملنا حقائبنا على ظهورنا عند انبلاج الفجر نفذ السير مع الطريق التي خبرناها منذ أيام .. يضيء الصباح ظهورنا ونحن نتحرك كالأشباح في الجبل وتتتابع في خط متعرج ، وقد تغير في العودة معظم رفاق الرحلة الأولى .. ولما جلسنا عند



منتصف النهار للغداء وشرب الشاي .. كان شبان الثورة يتبارون في القفز الطويل والعالى في الوقت الذي لم نستطع فيه التحرك من أماكننا إلا بصعوبة .. وقد اشتركنا معهم في مباراة التصويب .

وعند العصر وصلنا إلى خيمة الضيافة التي سبق وأن أوينا إليها في الذهاب بقرية « دمعوت » ولقد تغيرت نظرتنا إليها فإذا بها بعد ذلك التعب قصر منيف .

حديث ممتع

وفي الخيمة جلسنا نخشي الشاي وقد تفرق بعض الزملاء ، بعضهم جلس على شاطئ البحر ربما يتذكر زوجته التي تركها على شاطئ المتوسط .. وبعضهم الآخر ذهب ليستطلع الجبل من جديد .. أما أنا فقد جلست في الخيمة استدرج بعض الثوار الذين بقوا معي للحديث وكان بنحيت - رفيقنا في الذهاب والإياب - رجلاً عظيماً من الرعيل الأول الذين فجروا الثورة ، وكان قوي البنية شديداً إذا ما سار في الجبل كأنه يتبختر على فراش وثير يقفز كالغزال فوق الصخور .. ويبلغ الهدف قبلنا ، وبعد الطعام والشاي وهو يقفز في خفة ورشاقة باسم الثغر يذكرني بحياة الكشف في شريعتهم « يبسم ويهزأ بالصعاب » ... وحتى عندما انطلقت عبارات نارية أمامنا في الجبل باتجاهنا ورد عليها أحد الثوار المرافقين لنا نهره وتقدم أمامنا ليستكشف الأمر فأتضح أن الإخوة اليمنيين نصبوا هدفاً ليمرنوا عليه سلاحهم .

قلت للأخ بنحيت وهو يضع كوباً كبيراً من الشاي أمامه .. ألم تتعرض لمواقف حرجة في هذه الحرب يا بنحيت ؟ ..

فضحك .. ثم شرد قليلاً وهو يمسح شاربيه الكثرين المتجهين إلى أعلى كعادة العرب ثم قال :

حدث لي أربعة مواقف حرجة كدت أهلك فيها .. قلت :

- هات الأول .

الموقف المحرج

اجتمعنا من امارات الخليج قرابة الثلاثئة رجل نريد تفجير الثورة في ظفار كان ذلك عام ١٩٦٥ ولما اجتمعنا بالجليل لم نجد لدينا إلا سبع بنادق ومسدساً واحداً فاتفقنا على تخفيض العدد إلى ستين شخصاً.. ويذهب الباقيون إلى أعمالهم على أن يعودوا متى يتوفر السلاح ..

وكان وقتها سعيد بن تيمور يدير البلاد بطريقة بدائية ساذجة.. تصور انه يقفل المدن عند الغروب ولا يفتح أسوارها إلا بعد طلوع الشمس .. وكان من ضمن قوانينه معاقبة كل من يضع طاقيته على رأسه بطريقة مائلة أو ينتعل نعالاً أو يمتلك جهاز مذياع .

رجع الإخوة إلى أعمالهم وتفرقنا نحن الستين نبحث عن السلاح في مجموعات صغيرة ، وسرت أنا ومعي اثنان من الإخوة نحمل ثلاث بنادق .. وكنت وقتها قد قضيت إحدى عشرة سنة في الكويت لم أر أهلي ولم يروني.. وكانت طريقنا التي انتهجناها تمر بسفح الجبل مقربة من مدينة صلالة - عاصمة المنطقة - وهي مدينة تتمركز بها قاعدة بريطانية ، وكنت من قبل لم أر الجنود البلوش المجندين في جيش السلطان ، ولكن قيل لي إنهم يعتمدون بعماهم حمر . وقد فجر بعض زملائنا ألغاماً في الطرقات الأمر الذي نبه السلطة وصارت تعد العدة لنا ..

وثلاثتنا نسير مع الطريق حتى لحنا أمامنا على الطريق اثنان يجلسان ويلعبان لعبة بالحجارة والبعر « شبيهة بلعبة الخريقة عندنا ، فظنناهما من المواطنين .. كنا نحاور أنفسنا هل نسلم بتقبيل الحد كما هي العادة عندنا أو نكتفي بالتسليم من بعيد فقررنا بجانبها وقلنا : السلام عليكم .

فقفز الاثنان وفوجئا بوجودنا فإذا بأحدهما عريف والآخر نائب عريف وخلفها سرية من المسكر تخندق على الطريق لقطعها على الثوار ، فقال المريف - وخيوطه أصبحت واضحة لنا - : تعالوا جاي .

— لماذا .. ؟

قال : ما تخافوش .. تعالوا ..

فوقفنا في أماكنتنا وهنا جرى نائب العريف للرشاش الذي لم نلاحظه قبل ذلك وانبطح عليه ، فأطلقنا عليه النار وقتلناه ، فأسرع العريف ليحل محله فقتلناه قبل أن يصل .. وهنا انطلقت علينا النار بكثافة من الخندق الذي أمامنا ، وكان للخندق ممر واحد باتجاه الرشاش ، فكما ظهر أحد الجنود نتركه حتى يبرز نصفه الأعلى فنطلق عليه النار فيسقط على زملائه ..

ولما كثر إطلاق النار تدرجنا من سفح المرتفع وصعدنا مع الوادي حتى دخلنا الغابة وراء الجنود ، فجلسنا تحت شجرة نستريح من الدوار الذي أصابنا من جراء الدحرجة الطويلة التي لم نتعود عليها من قبل .. وكنا نرى الجنود وهم يطلقون النار بغزارة إلى الجهة التي هاجنهم منها أولاً ، ونشاهد الضابط الانجليزي وهو يمزق ملابسه بعد أن عرف أننا ثلاثة وأننا أسقطنا من جنوده سبعة ..

ولما تحدثنا بعد ذلك اتضح أننا الثلاثة في كل مرة نطلق النار مجتمعين على هدف واحد .. وواصلنا السير حتى دخلنا إلى مضارب قبيلتنا فتركت زميلي وذهبت أستفسر من رعاة الغنم عليهم يدلونني على أهلي .

فسألت شابين يريان غنمهما عن منتجع القبيلة ، ولم أستطع أن أسألهما عن أهلي مخافة أن يعرفاني من الثوار خاصة وأنني ألبس لباساً عسكرياً ملطخاً بالطين ، من دحرجتنا السالفة .. فلم يجيبا على استفساري .. فتركتها ورجعت إلى زميلي ، وأنا سائر سمعت أحدهما يقول للآخر بلهجتنا المحلية : هذا الرجل شكله مثل أخيك نجيت ..

فالتفت وقلت : نعم أنا هو .

وكان الشاب الآخر هو أخي وقد تركته وعمره ست سنوات ووجدته الآن وعمره سبع عشرة سنة ، فتعانقنا بعد أن تعارفنا ودلني على خيمة أهلي فأتيتهما أنا ورفيقي حيث ذبح لنا أخي شاة ، ونحن في انتظار العشاء إذا بسيارة الجيش

تسرع نحونا في اتجاه الخيمة .. فتأكدنا أن الجنود يلاحقوننا فخرجنا من الخيمة وأخذنا وضع انبطاح لاطلاق النار على أي جندي ينزل من السيارة، ولحسن الحظ لم ينزل منهم أحد وإنما استفسروا من أخي عن ضيوفه فأجاب « أن لا أحد عندي » وقد كانت هذه عادتهم من قبل فذهبت السيارة. ولو أطلقنا النار عليهم لأقدم الجنود على قتل جميع أفراد العائلة وأحرقوا خيمتنا بمن فيها .. ولما عدنا إلى الخيمة قالت أمي وهي منزعة : يا بني أرجوك ألا تأتي إلينا ثانية ..

وغيرنا ملابسنا ، وانطلقنا بعد أيام إلى الجبل .. كان هذا عام ١٩٦٥ وقد سقط في أيامها أول شهيد من شهداء الثورة وهو « سعيد بن غانم » يوم ٩ من يونيو ، ومنذ ذلك الحين اعتبر هذا اليوم تاريخ ابتداء الثورة .. وقد كان سعيد في مجموعة أخرى

قلت صحيح إن هذا موقف محرج فاذكر لنا الموقف الثاني .

الموقف الثاني

نصبنا خيمتنا ليلاً بإحدى المناطق بواد من وديان المناطق الداخلية ، وعند الفجر قام أحد الثوار ليشتعل النار لإعداد الشاي والبطور ، وقد كان مطمئناً فلم يكتشف المنطقة قبل اشعال النار كما جرت العادة .. ولم يعلم زميلنا أن العدو قد تمرر فوق القمم المطلة على الوادي استعداداً لمباغتتنا في الصباح .

أشعل الزميل النار، وما إن ارتفع لهبها حتى انهالت علينا ثلاث قنابل اطفأت النار فقبض كل منا على بندقيته وغطائه وعتاده وجرى كل إلى طريقه على أن نخرج من الطوق .. فلقد عرفنا أننا مطوقون ، وعدت أنا وهذا الأخ - وأشار إلى شخص أسمر يجلس بجانبنا - وشخص آخر وذلك لمسح محل مبيتنا مخافة ان نكون قد نسينا شيئاً .. وعندما وصلنا إلى الموقع واقتربنا من النار اشعلتها الريح فلاحظها العدو فأمطرنا بوابل من القنابل سقط بعضها على النار ولم نصب.

وانسحبنا إلى الجبل فالتقينا بثلاث نسوة منزعات قلن لنا ان الجنود يتبعونهن. وكانت معنا أوراق وخرائط أعطيناها لزميلنا ليعطيها للنسوة على أن نتصدى نحن للجنود ..

ولما وصل زميلنا إلى النساء وجلس معهن ليعطينهن الأوراق ، - وكان ظهره جهة الجند - لاحظنا مجموعة من الجنود تسير نحوه وقد حالت بيننا وبينه وكانت ظهورهم مولية لنا وقد ظنناها مجموعة من الثوار ، فسرنا نحوهم حتى أصبحت بيننا وبينهم خطوات ووقفت على صخرة وقلت صائحاً ..

● انتم من ؟

فردوا هم أيضاً بعد ان التفتوا الي : وأنت من ..؟

واستمر حوار الاستفسار برهة بيننا ، كل منا يحاول معرفة صاحبه قبل الآخر ، وأخيراً قال أحدهم : احنا الجيش ..

● قلت : جيش من ..؟

قال : جيش السلطان ..

وخفت أن يعرفوني فيطلقوا علي النار بعد أن عرفتهم اعداء .. فقلت له مردفاً ..

آه .. أنتم جماعتنا ظنيتكم الثوار .. ونزلت من الصخرة قافزاً وهم قبالي وارتعيت أرضاً وأصليتهم برشاشي ، وما أن فعلت ذلك حتى فروا جميعاً وتفرقوا في الشعاب .. والتحقنا بجماعتنا عند المساء دون أن نلحق بأذى وهكذا سلم الله ..

الموقف الثالث

كلفني الثورة بحمل معاشات أسر الشهداء إلى داخل المنطقة التي تسيطر عليها قوات السلطان ، وفي داخل المنطقة عرجت على ابنة عم لي متزوجة هناك

فبت عندها وفي الصباح وأنا متمدد في كهف بجانب خيمتها جاء تنبي تجري وترتعد وهي تقول :

يا ابن عمي . قم ان تسع سيارات من الجيش تقف الآن فوق الصخرة التي أنام أنا تحتها ..

فأطللت برأسي فإذا بالجنود وقد نزل معظمهم من السيارات مدججين بالسلاح فوق قمة الصخرة ، بعضهم يجلس وبعضهم واقف يستكشف المنطقة .. وفكرت في الأمر ، إذا أنا أطلقت النار سيحرقون كل المنطقة ، وإذا أنا بقيت سيقبضون علي ، وإذا أنا خرجت سيقتلونني .

واخيراً اهتديت إلى فكرة ، فأمرت ابنة عمي أن تحضر لي ثوبها وغطاء رأسها .. فأحضرتها لي « الثوب هو قميص طويل الذيل قصير من الأمام تلبسه المرأة في عمان واليمن » فلبست الثوب وغطيت رأسي بمنديلها وخرجت أنا وهي كأمراأتين ليجلبا الماء من الوادي ، ومررت أمام الجنود وكدت اتعث في الثوب وعجبت لطوله مع انني أطول من ابنة عمي ، ولما نزلت إلى الوادي وتواريت عن أعين الجند خلعت لها الثوب فإذا بي قد لبسته مقلوباً فالجزء الطويل من الأمام والقصير جاء من الخلف الأمر الذي كشف ساقي من الخلف للجند ولم ينتبهوا لذلك .. فناولتها ثوبها وابتعدت عن المنطقة ، وقد أصرت المرأة أن تذهب معي ولكنني راوغتها حتى تخلصت منها ..

موقف آخر

مرضت في الجبهة فنقلوني إلى أهلي للعلاج على أن يرجع أحد الزملاء لي بعد شهر ، وبقيت الشهر ولم يرجع لي أحد ولا زال المرض يهمني فقررت الالتحاق بموقع عملي رغم ضعفي ، وأجرت أحد الأشخاص ليحملي لي زادي وبندقيتي

ويخبر بي الطريق ، وعندما توغلنا في الجبل التقينا براعي ابل رافقنا ليجلب زاده من أحد الأودية حيث يخبئه هناك .

وعندما صعدنا إلى الجبل لننحدر إلى الوادي الذي فيه عين ماء غلاً منها أوعيتنا فارقنا الراعي .. وسرنا نحن الاثنين ، ولا أدري كيف تملكني شعور داخلي بأن الجند في انتظارنا، وأصبحت كأنتني أراهم، فقلت لرفيقي الذي يسير أمامي أعطني بندقيتي فأعطاها لي وهو يتساءل ، وما أن مشينا بضع خطوات حتى ارتمتي رفيقي على الأرض وهو يقول الجيش الجيش .. فرأيت في ذلك الحين اثنين من الجند خارجين من العين باتجاه الطريق التي تركناها خلفنا وبندقيتيهما على كتفيهما ، ففهمت أننا وقعنا في كمين ولا فائدة من التصدي إلا بالهيلة ، فقلت لزيميلى قم واعمل نفسك تتحسس شوكة في رجلك ، فقام وأصبحت أقود زميلي ، واتجهت نحو شجرة كبيرة بجانب العين ، ولاحظت الجنود وقد توزعوا بين الصخور المحيطة بالعين ، وقد جلس اثنان برشاش وسط العين .

وطلبت من زميلي أن يكون عادياً على اعتبار أننا رعاة من تلك المناطق وصرنا نتحدث في لا شيء ونحن في ظل الشجرة جالسين ونضحك بصوت عال .. وكان صاحبي يبل ريقه بين الحين والآخر بجرعة ماء من « مطرته » فلقد كان الوقت منتصف النهار والشمس على أشدها .. وصار الجنود يضجرون من حر الصخور إذ أن الشجرة هي الوحيدة في المنطقة وقمنا بإشعال النار لنعد الشاي .. وهنا تحرك نحونا ضابط المجموعة ومعه اثنان من الجنود يحمل بندقيته بين يديه وكأنه يقتنص ذئباً .. وقلت لزيميلى إذا كان الضابط انجليزياً يجب أن نطلق عليه النار فور اقترابه منا لأنه سيكتشفنا عندما يفتش البندقية .. أما إذا كان إيرانياً أو باكستانياً أو بلوشياً فسنحاول معه دون إطلاق النار لأن في قتل الضابط موتنا أيضاً .

فلما اقترب منا الضابط إذا به بلوشي فقممت من محلي وتركت بندقيتي على

الأرض - في سذاجة متعمدة - كما يفعل أي مطمئن وسامت عليه وأنا أقول يعيش السلطان وجيش السلطان ... فجلس على ركبتيه يجاني فناولته كأساً من الشاي فرفض وهو يقول : أنتم فقراء ، نحن عندنا التمر والدقيق ، والسكر والشاي ، وصار يحصي كل ما عندهم وأنا أظهار بالتعجب من كثرة تموينهم حتى الحلوى والشيكولاته وسألني عن قبيلتي وعملي ، فاسميت له قبيلة الراعي الذي رافقنا منذ قليل .. وقلت انني راعي غنم .. فصار يسألني عن المرعى والكلأ وعن حماية جيش السلطان لنا .. وكان جنوده يتوقون برؤوسهم من فوق الصخور ضجرين قلقين من بقائهم على هذه الحالة ..

وأخيراً طلب مني الضابط ان أريه رصاصة من حزامي ليعاينها .. وكان في حزامي نوعان من الرصاص النوع الانجليزي الموجود في المنطقة وآخر عربي يستعمله الثوار فقط فتظاهرت بأنني أعطيه الحزام كله : فقال : لا .. لا .. رصاصة واحدة فأخذت واحدة من الصنع الانجليزي وقدمتها له .. فعاينها ثم قال لي تصور أن هذه الرصاصة صنعت منذ احدى عشرة سنة .. فتظاهرت بالعجب وأنا أقول :

منذ احدى عشرة سنة ولا زالت تستعمل في بندقيتي ..؟ يا لدقة الصنع وذكاه الانجليز وخبرتهم ..

فهز رأسه علامة الموافقة والاستحسان .. وودعنا وانصرف .. وأومأ إلى الجنود فتركوا الطريق التي سدوا منافذها قبل قليل وانسحبوا وأخلوها لنا ..

وما أن انحدروا من الجبل حتى مرقنا كالسهم فارين يجلودنا .. وفي طريق عودتهم صادفهم الراعي فأخبرهم اننا من الثوار .. فاقتفوا أثرنا متتبعين لنا ولكن بعد فوات الأوان ..

وهكذا نجونا من الموت بأعجوبة ..

الفتى الاسمر

وبعد أن أكمل بخيت سرد مواقفه المخرجة ، التفت إلى الشاب الأسمر الذي أشار إليه بخيت أثناء حديثه بأنه كان معه عندما أسقطت القنابل على موقد النار ..

وقلت له : وانت هل لك من مواقف كانت مخرجة ..؟ .. فأجاب :
حدث لي الموقف الذي حدثك عنه بخيت .. اذ انني كنت معه ، أما الموقف الآخر فكان في بداية التحاقى بالثورة ..

هربت من الجيش عندما رفضت الانصياع لأمر الضابط الباكستاني في أن أسجن نساء عمانيات داخل المعسكر .. ولما هددني .. رددت عليه التهديد .. وعلمت من صديق لي أن الضابط ابرق للقيادة فأعطته الاذن باعتقالي في الصباح فهربت ليلاً ..

ولكن الاخوة في الثورة لم يثقوا في وجعلوني ستة أشهر تحت المراقبة وبدون سلاح .. وأخيراً جعلوني مع مجموعة على قارب ينقل التموين من عدن ..

حملنا من عدن قارباً كبيراً أوسقناه بالتموين . وكانت حمولته كبيرة لأن المنطقة كانت في حاجة إلى كل كيس أرز وكنا على ظهره قرابة الستين رجلاً .. وقد كانت الرحلة في بدايتها هينة ورائعة ، ولكن ما أن اقتربنا من ساحل المنطقة حتى هاجمتنا الطائرات وصارت ترمينا بوابل من النيران ونحن نزوغ بقاربنا بمنة ويسرة .. ولم تطاوعنا أنفسنا أن نرمي يجرء من المحولة في البحر ليخف القارب ويكون أقدر على المراوغة مفضلين سلامة القارب جميعاً .. أو غرقه جميعاً ..

وفي إحدى الغارات أصيب المركب فتناثر بمن فيه وما عليه قطعاً صغيرة وسبحت صناديق الشاي فوق الماء وكذلك الناجون منا .. وغاص السكر

والأرز إلى الأعماق وكذلك من أصيب من القوم ..

وسبحنا نحاول الابتعاد من الخطر ولكن الطائرات الانجليزية أمطرتنا بوابل من نيران رشاشاتها وصارت تمشط المنطقة ، فأصابنا العديد من الزملاء الذين نجوا من الفرق أولاً ، وسبحت إلى الشاطئ القلة التي استطاعت أن تسبح وتراوغ من اصابات الرشاش بالرغم من جراحها وآلامها ..

ولما اقتربنا من الشاطئ الجبلي كان الرصاص يصيب الصخور فيفتتها وتتطاير وكأنها شظايا قنابل .. ولما وصلنا الشاطئ كنا سبعة واثنين آخرين من جماعتنا ولكنها على درجة من الضعف لا تسمح لهما بمواصلة السباحة ، فسبحنا إلى الأقرب وانتشلناه ، وسبح أحد الأخوة وكان أقوانا إلى الأبعد الذي كان يتأبط صندوقاً من الشاي ، وقد كسرت يناه كسرين وكذلك رجله اليسرى فهو يسبح برجل واحدة ويد واحدة ..

وكان زميلنا الذي سبح لإنقاذه لم يكن على دراية بكيفية انتشال الفريق فكنا ننظر إليه حتى وصله وناسكا بالأيدي وغاصا معاً وابتلعتهما الأمواج .. انه لمنظر حزن غطى منه بعضنا وجهه .. وجلسنا ثمانية أشخاص مثخين بالجراح .. مبتلي الثياب والحزن يعصر قلوبنا .. لا ماء .. لا أكل .. لا سلاح .. ولا رفاق ... وكشف الشاب الأسمر عن ساقيه وفخذه فكانت آثار الرصاص لا زالت غائرة ومتناثرة في بدنه .

دور الفتاة

وكانت تشاركنا في الاستماع بالخيمة فتاة تتمنطق بحزام مليء بالذخيرة وتضع على ركبتيها بندقيتها الشرقية .. وهي تبسم بين الفينة والأخرى .. ولما سألت عنها قيل انها مريضة تشكو من « الروماتيزم » في رجليها ، ومع ذلك منذ تسعة أيام وهي تسير حافية القدمين إلى أن وصلت إلى هنا .. ولقد مررنا في الطريق



على اثني عشر رجلاً يتبادلون حمل امرأة تعسرت ،ولادتها-وما أسوأ أن يحمل
الإنسان على الأعناق في الجبل - فالثوار يحملون جرحاهم على ظهورهم مسافات
بعيدة بعضها يتجاوز العشرين يوماً ..

وأخيراً

وفي الصباح أقلتنا سيارة لنصل إلى أقرب مطار حيث أقلتنا الطائرة
الصغيرة إلى عدن ومنها إلى بيروت فطرابلس .. ولقد كنا طيلة الرحلة فوق
السحاب أو في الأرض نتذكر بطولات الثوار في جبال ظفار ونتعجب من
تجاهل العرب لهم بالرغم من أنهم يدافعون عن حرية جزء من أجزاء هذه
الأمّة ..

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الصَحراء العربيّة

السّاقية الحِمْراء
و
وادي الذهب

ديسمبر ١٩٧٢

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

هناك حيث يمور المحيط الأطلسي بأواجه العاتية مداعبة بعنف رمال
الشاطئ العربي الصفراء ..

هناك حيث تفجرت ثورة المرابطين من أعماق الصحراء لتحفظ للعرب ماء
وجوهم في سهول الأندلس ولو إلى حين ..

هناك حيث تنبسط الصحراء بطلحها وسدرها وعرعارها، هناك بين الرمال
والحيط وبين الطلح والسدر والعرعار، وبين الحاضر الأليم والماضي المجيد تنتشر
خيام العرب تحفق بها الأرواح .. حانئة إلى أمة عزلت منها متنقلة فوق ظهور
الجمال في هودج تحفي الكواعب الأتراب .. ورحال ينتصب فوقها شعث من
الرجال غير لوحث بهم الأعاصير والشمس فزادتهم على سمره العرب سمره ..
ولكنها لم تستطع أن تخفي بريق الأمل في أعينهم المتطلعة إلى مستقبل أفضل ..
تلك هي الساقية الحمراء ...

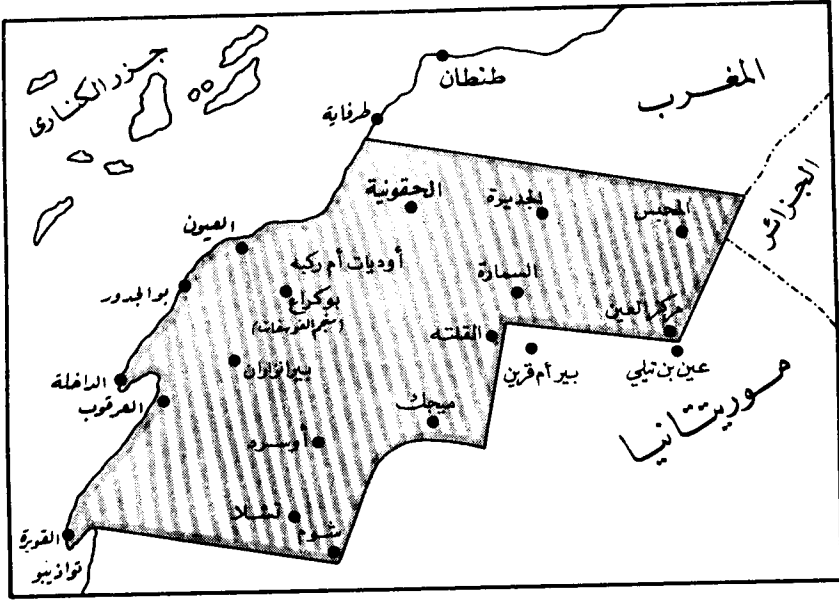
لم تكن الساقية الحمراء نكرة تحتاج إلى تعريف فهي في ذهن العرب في المحل
الاشرف في ذكرياتهم أيضاً .. ولكن شهرة اسمها في أرض العرب اقترنت
بكثير من الخرافات التي جانببتها الحقيقة .. ولعله مما زاد في تعميم صورتها لدى
المواطن العربي وقوعها تحت الاستعمار الاسباني الذي فرض عليها العزلة واعتبرها

منطقة عسكرية ليس من السهل الدخول إليها والتنقل بين أحيائها ...

لم أتمكن من العثور على تاريخ مفصل لمنطقة الصحراء هذه ، وذلك لأن التاريخ العربي لا يفصل مؤرخوه بين منطقة وأخرى وخاصة في المنطقة الواقعة غربي مصر فيطلقون عليها بلاد الغرب وأهلها المغاربة .. أو يطلقون على بلاد المغرب الأقصى بلاد السوس ... ولهذا لا يجد الباحث - إلا ما ندر - حديثاً مفصلاً عن الساقية الحمراء ووادي الذهب .

فالوطن العربي بعد الفتح العربي الإسلامي كان وحدة واحدة ووطناً واحداً يخضع لإدارة واحدة في بغداد ومن قبلها دمشق ، وقبل ذلك المدينة المنورة ، ولم تكن القاهرة أيام « المعز » أو القيروان أيام « عقبة » إلا عواصم فرعية لإمداد الجيش المحارب بالسلاح والرجال والمؤن لمناطق تمتد غرباً بعيدة عن مركز الخلافة .

وبعد سقوط الأندلس وتمطى الأسبان إلى الشمال الأفريقي وبلاد المغرب .. أنشأوا لهم مراكز عسكرية تجارية على الشاطئ العربي في طرابلس الغرب وفي بعض المناطق على المحيط الأطلسي ، ولقد امتدت مع الامتداد الإسباني جارته البرتغال إلى غرب أفريقيا ، ويذكر أنه في عام ١٨٨٠ وصلت أول قافلة أسبانية وتمركزت على شاطئ المحيط في منطقة الساقية الحمراء وعلى التحديد في منطقة « العيون » حيث استقرت وبدأت في بيع البضائع للسكان عن طريق المقايضة بالسلك ، وتحولت التجارة إلى ثكنات عسكرية صغيرة كما هو الحال في الهند عندما تحولت « شركة الهند الشرقية » إلى استعمار انجليزي لم تتخلص منه البلاد إلا بعد كفاح مرير طويل قاده الزعيم غاندي إلى النصر ، وعندما غزا الفرنسيون موريتانيا من جهة الجنوب في أوائل هذا القرن وقف سكان الصحراء الموريتانيون وأهل الساقية الحمراء وقفة رجل واحد بقيادة الزعيم (ماء العينين)



الذي اتخذ من بلدة (الصارة) منطلقاً له ومركزاً للمجاهدين ، ألقى راحة المستعمرين في معارك دامية ، كل ذلك والأسبان يتركزون على الساحل فقط ، ولكن فيما بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، والحرب الاسبانية التحريرية على أشدها تغفل القبطان (ديل أورو) مع الفرق الرحالة إلى داخل الصحراء وبدأ الاحتلال الفعلي للمنطقة .. ولم يثن أسبانيا عن احتلالها للمنطقة ثورة الجيش عام ١٩٥٦ عند استقلال المغرب ، فلقد ثار الجيش الصحراوي المتواجد ضمن القوات الاسبانية واشتبك مع الاسبان في معركة دامت خمسة أيام

هذه الصفحة مفقودة

هذه الصفحة مفقودة

عربية ولا وجود لاسبانيا إلا في قواتها المتمركزة في المدن يجيوشها وفي الصحراء بدورياتها وفي الموانئ بأجهزتها .

لماذا تصر اسبانيا على البقاء ؟..

لهذا السؤال إجابة لدى الاسبانيين أنفسهم فبالرغم من تواجدهم بالصحراء منذ عام ١٨٨٠م لم يفكروا في ضم الصحراء واحتلالها عسكرياً بصورة نهائية إلا أخيراً .. والسبب هو اكتشاف الفوسفات بكميات كبيرة في منجم « بوكراع » الذي يبعد عن مدينة العيون بحوالي مئة كيلومتر والذي قدر احتياطيه بـ (١٢٠٠) مليون طن بمعدل ٧٠٪ من المعدن الخام ..

كما اكتشف الحديد في منجم « اغراشا » وقدر احتياطيه بـ (٢٠) مليون طن وأخيراً اكتشف النفط في (وديات أم ركة) على يد الشركة الفرنسية (س.ج.ج) ... و « وديات » جمع تصغير لوديان و « أم ركة » هي نبات ينبت في الوديان تأكله الحمير .. إلى جانب الثروة السمكية الهائلة إذ أن مجموع الكمية التي اصطيدت عام ١٩٦٩ حسب الاحصائيات الاسبانية في المنطقة بلغ ٦٦٧١ طناً .

ورغم تواجد هذه الثروات كلها واحتياج أسبانيا لها وتمسكها بالصحراء فلا ندري كيف نفسر قول وزير الدولة الاسبانية للرئاسة الأميرال « كاربرو بلنكو » عندما وقف بالعيون يوم ١٦ من مايو ١٩٦٦ ليقول في خطبة ألقاها : « لم نجن من هذه الأراضي أي كسب مادي بل أعطينا كل ما استطعنا .. » .

وهكذا تطبق أسبانيا في الصحراء قول المثل العربي : « خرشفا وسوء كيل » تأخذ الخيرات وتتكبرها . وتستعمر الشعب وتدعي أنه حر .. والله في خلقه شئون !!

كيف يعيش سكان الصحراء...؟

يبلغ عدد سكان الصحراء حوالي ٥٦٢٩٧ نسمة حسب التقديرات الاسبانية ، ويقول السكان العرب انهم أكثر بكثير من هذا العدد ..

وينتشر السكان في منتجعات بدوية تعتمد على الرعي وتعشق الحرية ويسكنون في خيم سوداء تصنع من صوف الأغنام ، إذ أن ماعزهم قصير الشعر كالغزلان لا يستفاد منه .



ويتبعون الكلاً كلما نزل الغيث تراه في ترابه ، غير آبهين بتشديد السلطات الاسبانية التي تقيد تنقلهم .. وهم يملكون ثروة حيوانية كبيرة إذ تقدر السلطات الاسبانية عدد الإبل بـ (٥٦٢٤٧) بعيراً ، والماعز بـ (١٤٥٤٠٨) ، والضأن بـ (١٧٩٧٥) .

وفي المدن حيث يتواجد الأسبان يقطن العرب في أحياء شعبية مظلمة في غالبها بالرغم من ان للأسبان في العيون والداخلية والصمارة والقويرة محطات كهربائية ولكنها لإنارة الأحياء التي يقطنها العمال الاسبان والجنود . والطرق

في الصحراء غير معبدة في غالبيتها اللهم إلا باستثناء الطريق بين العيون - العاصمة - ومنجم بوكراع وذلك لأن الشاحنات المحملة بالفوسفات تستعمله للوصول إلى ميناء العيون حيث يشحن ويصدر إلى أسبانيا للتصنيع .
كما أن الطرق في الأحياء الأسبانية داخل العاصمة معبدة والبيوت أنيقة ومكيفة تحتوي على معظم وسائل الراحة « حدائق وحمامات » ..

وإلى جانب الرعي يشتغل سكان الصحراء بالتجارة وهم تجار مهرة وقد كانت موريتانيا أهم سوق لتصريف تجارتهم القادمة من جزر الكناري وهذه الجزر هي الأخرى لا تزال تحت الاستعمار الأسباني.. وقد فرضت أخيراً القيود على العملة في موريتانيا بعد خروج الأخيرة من فك الفرنك الأفريقي واعتماد الأوقية كعملة موريتانية خاصة بها . وقد أضرت هذه القيود بتجار الصحراء ..

وإلى جانب الرعي والتجارة يمارس سكان الصحراء هواية الصيد المحببة لهم.. البحري والبري ، ورغم أن الإدارة العسكرية منعت صيد الغزلان الموجودة بكثرة في التراب الصحراوي إلا أن الهواة للصيد يتسللون من موريتانيا لاصطياد الغزلان فالحدود البرية هي « ١٥٧٠,٥ » كيلومتراً ولهذا لا يستطيع الأسبان مراقبتها ومنع المتسللين الذين يخبرون مسالك الصحراء ووهادها بعكس الحدود البحرية فبالرغم من أنها (١٠٦٢) كيلومتراً ومع ذلك فلا تخاطر سفن الصيد الأخرى من اختراق مياهها الإقليمية لتواجه الأسطول الأسباني في المحيط قرب الصحراء .. كما أن أسطول الصيد الأسباني يجوب مياه المحيط المقابلة لموريتانيا بعد أن منح حق الصيد في مياهها وتأسيس شركة لحفظ الأسماك الأسبانية بنواذيبو المدينة الموريتانية على المحيط ومقر شركة « ميفرما » التي تستخرج حديد الزويرات ..

كيف تحكم الصحراء ؟..

يُحكم الصحراء حاكم عسكري أسباني يسمى الحاكم العام .. وله السلطة المطلقة في المنطقة بالرغم من وجود مجلس يسمى مجلس الجماعة يتكون من أربعين شيخاً أو أربعين ممثلاً - على حد رأي الأسبان - من الشعب ، وستة عشر ممثلاً للعمال والذين هم في الغالب من الأسبان وشمخي بلدية العيون والداخلة ولهذا المجلس سلطة صورية فالحاكم العام هو كل شيء، وحتى إن كان للعرب الصحراويين ستة نواب في مجلس « الكورتس » الأسباني .. فالعملية لا تعدو أن تكون تمثيلية الغرض منها ربط الصحراء بأسبانيا أكثر فأكثر ..

العيون

العيون في الصحراء مبنوثة في كل مكان لمراقبتك إذا قدر لك وأن زرتها ، وهذا في الغالب لا يتسنى لك إن كنت عربياً أو صحفياً بالذات .

غير أنني أقصد الحديث عن مدينة العيون - عاصمة الصحراء - وهي مدينة صغيرة أنيقة تتخللها بعض الشوارع المعبدة وبها مطار كبير مجهز بأحدث الأجهزة الحديثة وصالح لنزول أكبر الطائرات العصرية .. وللمدينة أيضاً ميناء صالح لرسو السفن يقع غربي المدينة بحوالي ٢٤ كيلومتراً - إذ أن المدينة لا تقع على ساحل المحيط مباشرة - يربطه بالعاصمة طريق معبد ، ويصدر عن طريقه فوسفات منجم « بو كراع » وبالمدينة فندق سياحي جميل يقضي به الجنود القادمون من جزر الكناري إجازاتهم كما يؤمه الزوار الراغبون في السياحة من البلاد الأوروبية ، كما أن الجنود الصحراويين هم أيضاً تعج بهم مدينة « لاس بالماس » - عاصمة جزر الكناري - فهم أيضاً يقضون إجازاتهم بها .

ويقدر عدد سكان مدينة العيون بـ « ١٥٥١٨ » ساكناً . ويوجد بالعيون محطتان للإذاعة المسموعة إحداهما عاملة والأخرى احتياطية ، والإذاعة العاملة

بقوة خمسين كيلوات تبث برامجها باللغة الاسبانية ولها حصة بالعربية لتوجيه المواطنين إلى أن البقاء مع أسبانيا هو قمة الوعي والفهم !! وبها أيضاً محطة للاذاعة المرئية تذيع على القناة (٥) كما يوجد بها مسرح صيفي خاص بالاسبان .. وتصدر بالعيون جريدة أسبوعية عنوانها « الصحراء » وهذه الجريدة بالنسبة للصحراويين تعتبر اسماً على مسمى .. وبالمدينة مستشفى حديث يؤمه الاسبان والعمال الاسبان ولا يستشفى به العرب إلا من له خطوة لدى الاسبان . فالعرب قد خصص لهم مستوصف صغير بأطراف المدينة لمعالجتهم بما يكفل عدم انتشار المرض وحتى لا يصبحوا مصدراً لنقل العدوى إلى أبناء الاسبان القادمين ويبداهم مشعل الحضارة للإنارة المنطقة !!

الداخلية

وهي المدينة الثانية بالصحراء وعدد سكانها حوالي « ٥٤٥٤ » نسمة ويوجد بها ميناء لاستقبال البضائع وتصدير السمك كما يوجد بها مطار أصغر بقليل من مطار العيون ، وبها مستشفى وإذاعة مسموعة قوتها ١٠ كيلوات وتوجد بها قاعدة عسكرية أسبانية وقد آنستها أخيراً قاعدة أمريكية ، تلك التي رحلت من الجمهورية العربية الليبية وربما أسماها الأمريكان قاعدة (أيزنهاور أوروجرز) إذ أن هويلس سيء الطالع فقد رحل من طرابلس لشؤم اسمه على أمريكا ..

الصمارة

وتقع في الشمال الشرقي على بعد ٢٠٠ كيلومتر من العيون وعدد سكانها حوالي « ٢١٣٠ » ساكناً وبها مسجد الشيخ ماء العينين وقبره ، ويعتبر الصحراويون هذا الرجل أحد رجالاتهم الصالحين في المنطقة ويحتفظون له بتاريخ ناصع في الجهاد

ويتخذون من قبره مزاراً لهم.. ويوجد بالصمارة جهاز للاذاعة المرئية مزود بآلة سينمائية لعرض الأفلام في قاعة معدة بالمدينة وهي أفلام دعاية أسبانية ..

وبها مستوصف يحوي بعض الاسرة لاستقبال المرضى وإيواء الذين هم في حالة خطرة كما يوجد بالمدينة مطار ولكنه أصغر بكثير من مطاري العيون والداخلية ويربطها بالعيون طريق غير معبد ، ولكنه صالح لسير العربات .

الحياة الثقافية

قل ما تجد إنساناً بالصحراء لا يجيد القراءة والكتابة فهم جميعهم شغوفون بالثقافة ميالون للتعليم وخاصة في أمور دينهم وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم ، ولهذا نجد في كل منتجع فقيهاً .. أو كما يسمونه « مرابط » ليعلم الناشئة القراءة والكتابة وقد تخصصت قبيلة اليعقوبيين في التدريس كما تخصصت قبيلتنا الرقيبات والزرقين في الحرب ..

ولما جاء الاسبان أرادوا أن يفتتحوا بعض المدارس في عواصم الأقاليم وذلك لتعليم الناشئة اللسان الاسباني كتابة ومخاطبة وتلقينهم تاريخ اسبانيا وأجادها وربطهم بها كما كانت تفعل ايطاليا في ليبيا أيام عنجهيتها ..

إلا أن البدو أبوا أن ينتسب أبناءهم لهذه المدارس ونفروا منها ورفضوا تعليمهم الكفر على حد قولهم في مدارس الكفار ، ولهذا لم نجد في المدارس التي افتتحها الاسبان - إلى جانب أولادهم - إلا قلة من أبناء العرب وهؤلاء لا يتجاوزون المرحلة الابتدائية باستثناء أولاد المقربين الذين يستكملون دراساتهم « بلاس بالماس » عاصمة - جزر الكناري - أو بمديريد ..

الانتفاضة الثورية لعرب الصحراء

ذكرت ان الصحراويين ميالون للحرية، شديدو الاعتزاز بعروبيتهم ودينهم ، يتتبعون أخبار العرب ويعرفون ما يدور في كل قطر .. والشرق له عن الساقية الحمراء فكرة مشوهة فهي على رأي العامة مركز للفقهاء والمشعوذين والسحرة. تتجسد صورتها في الفقيه المغربي الذي يكتب الأحجية فيجلب الحظ والحب وقد يغضب فيجلب النحس والفرقة والكراهية ، وربما ذبح إنساناً ليستخرج الكنز الذي تحرسه العقاريت ، ولقد كدت أن أكون احد هؤلاء الفقهاء عندما اقترب مني شيخ من الدروز في مقهى يجبل لبنان وأنا ألبس الزي الوطني فظنني فقيهاً مغربياً فاسترسل يبثني شجونه وان زوجته الملعونة لا تحبه وتهجره وقد تركني بعد أن قرأ في عيني تأييداً لوجهة نظر زوجته فيه ..

وأعود للساقية الحمراء ووادي الذهب فهي مركز من مراكز العرب المعتزين بعروبيتهم والمتعطشين لآخبار العرب وانتصاراتهم ، وبالرغم من سيطرة الاسبان عسكرياً على المنطقة ، انتفض الصحراويون في ثورة عارمة عندما دعته السلطات الاسبانية من أقاصي الصحراء للاشتراك في احتفال موهوم جلبت له السلطة الكثير من الصحفيين والمراسلين والأجانب لتبين للرأي العام ان الشعب الصحراوي يرغب في استمرار اسبانيا في حكمه ، وقد كان ذلك يوم الأربعاء ٢٧ من يونيو سنة ١٩٧٠ م ولكن الصحراويين نصبوا خيامهم بعيداً عن مكان الاحتفال مؤثرين البقاء لوحدهم على الانضمام للاسبان المحتلين ، مما أقسد عليهم لعبتهم ، فحاولت الشرطة ارغام العرب على المساهمة في الحفل ونقل خيامهم إلى مكان الاحتفال ، ولكن الآخرين رفضوا وحدثت المصادمة في الساعة الخامسة مساء عندما أحضر الحاكم العام شيوخ القبائل الممثلين في المجلس ، وأرغمهم على قرار يحيز اطلاق النار على المواطنين الثائرين . وحدثت مجزرة استشهد فيها العشرات وبقي الرصاص يلعلع في أجواء مدينة العيون حتى ساعة متأخرة من الليل ومنع

التجول لمدة ثلاثة أيام قبض فيها على زعماء الشعب وأودعوا السجن ومنهم من قتل في السجن وأعلنت أسبانيا قراره لإيهاام الرأي العام أنها لم تقتله كالحامي بصير محمد .. وبعد ذلك أصبح هذا اليوم بالنسبة لعرب الصحراء يوماً للثورة .. يتظاهرون فيه وتقابلهم السلطات بالرصاص والقمع حتى هذا العام .

العرب المجاورون

حدثني أحد الشباب الصحراوي النشط قائلاً :

كم كان بودنا أن يقف اخواننا العرب معنا لتحرير المنطقة من النفوذ الأجنبي ، وبعدها لا يهمننا كثيراً شكل الحكم ما دام الهدف واضحاً والتحرير هو الغاية . ولكن هذا الرأي لم يكن واضحاً أو هكذا يتراءى بالنسبة للاخوة العرب ، جيران الصحراء فموريتانيا ترى أن الصحراء جزء لا يتجزأ منها ، والمغرب يرى أن الصحراء جزء من ترابه ، كما كان يطالب بموريتانيا أيضاً .. وربما كان اعتراف المغرب بموريتانيا على أساس أن تعترف الأخيرة بسيادته على الصحراء وقد وجدت أسبانيا في اختلافها رحمة فصارت تحدث كل قسم على حدة بأنها عندما تخرج ستسلم الصحراء اليه .

وقد رحلت عن اقليمى (افني والطرفاية) الواقعين في التراب المغربي بعد أن حكمتها قرابة ستين سنة ..

وإلى جانب رأي كل من موريتانيا والمغرب برز رأي آخر وسط ، ومفاده ان تقسم الصحراء إلى قسمين : وادي الذهب الغني بالفوسفات يكون من نصيب المغرب . والساقية الحمراء الغنية بالحديد والبتروال تكون من حصة موريتانيا .. ويعطى للجزائر ممر ضيق إلى المحيط لتصدر معادنها بتندوف عن طريق ميناء المحيط . ويقع هذا الممر بين القسمين .

وعقد مؤتمر نواذيبو بين الرؤساء هواري بومدين والملك الحسن الثاني والرئيس

المختار ولد داداه ولكن المؤتمر لم يحرز النجاح المتوقع ، ويقال أيضاً أن هنالك اشكالا آخر في تحديد موقع المر الجزائري ، فكل فريق يرى أن يكون المر في حصة الثاني .

وقبل المؤتمر كان بعض الصحراويين ينادي بالانضمام إلى المغرب كما ينادي فريق آخر بالانضمام إلى موريتانيا.. ولكن بعد مؤتمر نواذيبو شعر الصحراويون بأنهم غنيمة تقسم فأصبح الرأي السائد هو الاستقلال التام لمنطقة الصحراء .

ولما حاولت أحد الصحراويين في أن منطقتهم صغيرة لا تحتل أن تكون دولة لذاتها وانها جزء لا يتجزأ من الأراضي العربية سواء في موريتانيا أو المغرب أو الجزائر أجنبي قائلا :

«نحن لسنا أصغر مساحة من امارات الخليج ولا أقل سكاناً ولا ثروة» وهكذا يتسابق العرب في التجزئة وتجزئة التجزئة ..

وأخيراً : هذه هي الصحراء العربية .. حاولت أن ألقى الأضواء عليها لتنوير المواطن العربي وتبصيره بمشاكل وطنه .. غير أن ما يهمنى جميعاً وما ننادي به هو أن تعي إسبانيا علاقتها بالعرب وان ترحل عن المنطقة تاركة السكان العرب يقررون مصيرهم دون أي تدخل أجنبي ..

وعندها سيجد الشعب الاسباني أصدقاءه العرب يدافعون معه عن حرية ترابه من الاستعمار البريطاني الجاثم على جبل طارق .

ان مواقف اسبانيا الصديقة لا يمكن أن ينساها العرب، ولكن تلك المواقف لن يكون بأي حال من الأحوال ثمنها الاستيلاء على التراب العربي .

ثورة الساقية الحمراء وَوادي الذهب

فبراير ١٩٧٤

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

عندما انطلقت في صباح يوم غائم من أحد أطراف الصحراء الكبرى، لم أكن أتوقع أنني سأقطع ستة آلاف كيلومتر في الصحراء المقفرة قبل أن أستطيع جمع المعلومات اللازمة لانبثاق ثورة الشعب العربي في الساقية الحمراء ووادي الذهب فبعد أن جهزنا ما يلزمنا من الماء والزاد والبنزين ، مرقت بنا السيارة الطاوية كالسهم يقودها زميل لي خبير بشؤونها كما خبرت أنا الآخر مسار الصحراء ومسالكها ، وانداحت بنا عبر معالم طريق كثيراً ما تحجبه الغيوم عن الرؤية ومع ذلك كنا نواصل السير دون كلل أو ملل ، نقطع الطريق بالحديث في الأشياء المهمة ثم التي دونها حتى فرغنا من ذكر المهم والثقافة فصمتنا وعيوننا مسمرة على الطريق وأفكارنا تسبح بعيداً جداً عن اللحظة التي نعيشها .

كان فكري يسر غور التاريخ إلى عام ١٨٨٣ عندما تأسست شركة تجارية لصيد الأسماك من الأسبان ، وتبعها بعد ذلك إنشاء بعض المرافق البسيطة للبيع والشراء واصطياد الأسماك .. ولم يشعر الأهالي بخطورة هذه المرافق لدرجة أن رؤساء القبائل بوادي الذهب اتفقوا مع (اميلوونيلي) الاسباني على توقيع معاهدة الغرض منها توسيع استغلال المنطقة لشركة (أفريقيا الاسبانية) من منطقة (أبو الجدور) إلى (القويرة) ولعبت هذه الشركة دوراً كبيراً في إرساء قواعد الاستعمار الاسباني في المنطقة كما فعلت الشركات البريطانية بالهند ..

وفي عام ١٩٣٤ توجت أسبانيا أعمال شركتها هذه بوضع المنطقة تحت الحماية الاسبانية وقامت قوات اسبانية باحتلال المناطق الداخلية ومنها مدينة

« الصمارة » وهنا تنادى الأهالي لصعد العدوان ولكن بعد فوات الأوان .
وفي عام ١٩٥٨ م أصدرت رئاسة الجمهورية الاسبانية قراراً يقضي باعتبار
الصحراء جزءاً من الأراضي الاسبانية تدار بحكم عسكري ..

استضافة في الرمال

كنت سارحاً بأفكاري أتابع التاريخ ، وربما كان زميلي هو الآخر يفكر
في زوجته التي تركها صباح ذلك اليوم ، أو ربما كان يفكر في غيرها ، حتى
توقفت السيارة على غير انتظار « تحرن » دون أن تتقدم أو تتأخر رافضة
محاولات زميلي في دفعها للامام ولو خطوة واحدة أو سيرها للخلف ولو
شبراً واحداً .

قفزنا إلى الأرض فإذا بها تتمدد على الرمال وبطنها ترتبع فوق كتيب هائل ،
أما عجلاتها الأربع فقد غاصت قرابة النصف ، لعلها المسكينة أرادت أن
تستريح من عناء السفر قليلاً ..

انبطحنا الاثنين في وضع مضحك نحفر بأيدينا كالجرذان ما أعاقها عن التقدم
ولم ننتبه إلى حفنات الرمال التي كانت تصيب وجوهنا ورؤوسنا حتى إذا ما
قمنا ظهرت لكل منا عيون صاحبه وكأنها حفر في التراب ، أما عن الوجوه
فعدت ولا حرج ، كمن اشترك في لعبة البحث عن قطعة حديدية في صحن من
الدقيق بضمه .

تقدمت السيارة بعد لأي واعتليناها بعد أن حمدنا الله واندفعت تسابق
الغيـم وزميلي يروي لي حدثاً مماثلاً مر به أثناء أحد التحقيقات « برملة زلاف »
يحنوب الوطن ..

وقد يرقص المسافر..

مالت الشمس للغروب ، وللغروب في الصحراء رهبة ووحشة عندما تحمر
جوانب الهضاب ويغمق لون ظلال جنباتها الأخرى وتصبح الطريق أمامك
عبارة عن خطوط بيضاء كطرق القوافل القديمة ، ساعتها - وساعتها فقط -
وجب عليك أن تتجنب السفر ليلاً وإلا ابتلعتك متاهة القفار ، وأصبحت
للسافيات مقاماً يستترك الجنوب ويكشفك الشال وعظامك تزداد بياضاً مع
الزمن في تلة قد تكون أول واطىء لها وآخره .

ملنا إلى قرية طيبون أهلها لم نشعر بينهم بغربة ، - والكرم في الصحراء شيء
لا يصدق - وعلى رائحة شواء شاة ذبيحة جلست إحدى فتيات البيت تعد لنا
شاياً أخضر تعبق منه رائحة النعناع ، وحول الشاي تجمر الشباب والشابات ،
وعلى إيقاع الطبل قام الجميع يرقصون بالتوالي وانطلقت حناجر الكواعب
الأتراب في الغناء ، وكاد زميلي أن يبزم رقصاً لولا أن كبر بطنه أعاقه قليلاً
عن الرقص الجيد .. ومع ذلك فلقد كان النجم الراقص في الحفل بلا منازع ،
حيث كان رقصه نكتة ..

وفي الصباح كنا نندفع في منمرجات جبلية إلى أرض فضاء سرعان ما
ابتلعنا السراب والصحراء لنصير جزءاً منها في فجاج مغبرة الجوانب ..

المكتوب

بعد منتصف النهار بقليل جعلنا من سيارتنا سترأ بيننا وبين شمس الظهيرة
في الصحراء المرمضة وجلسنا نحتمي كوباً من الشاي وتتناول غذاءنا البسيط
المكون من الخبز وبعض الفواكه .. ونحن كذلك إذ براكب جمل ألقت به

مهامه الصحراء يجانبنا أناخ جملة وسلم ..

● ياكم الخير ..

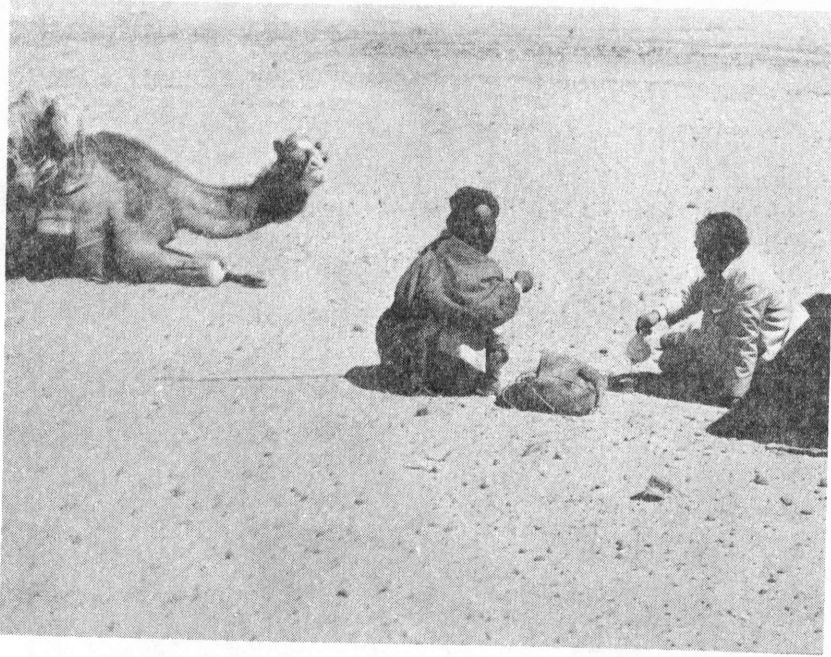
— واش طاري ..؟

● واش عاقب لكم ..؟ (أي من أين أنتم قادمان) .

● واش قايسين (إلى أين أنتم ذاهبان) ؟ .

— ياك ما عاقب حد باش يموت (أي ألم تتركوا أحدا يموت) ؟ .

وطماناه على أننا لم نترك أحدا في القرية (موجدوعاً ولا غايسه شيء) ولم نترك أحداً أيضاً يريد أن يموت ونحن والله يعلم أننا لا نعلم في أمر من يسألنا عنهم شيئاً .



وجلس صديقنا الجديد يشاركنا طعامنا وجملة ينظر إلينا والأسى باد على عينيه وعظامه بارزة من الهزال ، وكان صاحبنا يثني على المكتوب الذي قاده

لأن يتغذى هذا الغذاء الذي كتب له منذ أن اشتريناه من البلد البعيد ، وكدت أن أفعل معه كما فعل ذلك الرجل الذي اصطاد غزالاً فصار صاحبه يحك أنفه وهو يقول كلما حككت أنفي أكلت اللحم ، فأطلق صاحبه الغزال وهو يقول له دع أنفك يمسك بالغزال .



ولما ناولنا لضيفتنا قفاحة استغشمها ولم يتناولها إلا بعد أن شاهدنا نأكلها وهو يقول « واش هذا الحديج »؟؟ أي ما هذا الشيء المكور ..؟ وقد كان الرجل من أطراف الصحراء تركه الاسبان يحبل كل شيء حتى الفواكه . وما ان انتهى الغذاء حتى ودعنا صديقنا الصحراوي وهو يحث جملة الهزيل وسرنا لآنلوي على شيء ، حتى قبلت الشمس جانب الصحراء الغربي ، حينذاك عرجنا على داري لقوم في قرية صغيرة قيل لنا أن لأهلها علماً بالشوار واتصالاً ، فولجناها وكأنا كنا غائبين عدنا إلى أهلنا بعد سفر طويل .. أنسانا ترحاب أهلها عناء الطريق وعناء السفر ..

عودٌ على بدء

همسنا لصاحب الدار عن بغيتنا طالبين منه مقابلةً منٍ الشوار يتواجد بتلك القرية ، فانسل من بيننا وابتلعه الظلام ، وبعد قليل أقبل في ثلاثة أشباح منهم اثنان من الشوار .. سلّمنا وجلسا بتحفظ، وقد كانت الدار غاصة بالمسلمين والمتعلمين لأخبارنا ، وقد جعلنا وجود السيارة معنا كالسارق الذي يحمل شمعة بيده .

انتحيت بالزائرين ناحية بدار أخرى أقل ازدحاماً وأكثر إنارة وتطلعت في وجهيهما فإذا بأحدهما ذو عينين غائرتين وجبين مقطب رسم عليه الزمن ثلاثة خطوط متوازية ، ينظر إليك وكأنه يريد أن يسبر غورك ويتطلع إلى أعماق أعماقك ، وكان يضع لثاماً على فمه ومقدمة أنفه ..

أما الثاني فكان رجلاً دون الأربعين بقليل ، بشوشاً يبتسم فتفتت شفتاه عن أسنان لامعة بيضاء ، ولحيته أنيقة سالت مع عارضيه تلاعب فيها بالموسى وفصلها عن شاربهِ .. الأمر الذي جعل من توزيع شعره في وجهه توزيعاً عادلاً حفزه بحاجبين كثيفين ، وكان هو الوحيد المتحدث ، أما صاحبه فكان يصفي إصغاء لا ينبس ببنت شفة إلا إذا استدعى الأمر تصحيح شيء ، ولما سألتها عن المسؤولين في الثورة اللذين قيل لي أنها هنا أجابا بأن الأخوين ذهبا إليكما في القرية التي انطلقتا منها أول أمس ..

يا للضياع !! سأقطع ألف كيلومتر آخر في طريق العودة وربما لا أجدُهما لأن المسافات في هذه الصحراء لا قيمة لها ..

سمر .. وشجون

قررنا العودة في الصباح إلى نقطة الانطلاق الأولى، ومع ذلك سهرنا حتى

الرابعة صباحاً نستمع إلى شجون إخواننا في الصحراء .

كانت بداية الثورة مظاهرة نظمها الشعب العربي في الصحراء يوم الأربعاء ١٧ من يونيو ١٩٧٠ حيث جمع الأسبان رجال الصحراء من مختلف بقاعها لاحتفال موهم بمدينة الميون، الغرض منه اطلاع الصحافة العالمية على مدى حب العرب للأسبان ! وتحبيذهم للاستعمار الأسباني ! ولكن العرب رفضوا ذلك وتحركوا من تجمعهم بخيامهم التي اختاروا لتشييدها ربوة منعزلة وقابلهم الأسبان بالرصاص بعد أن رفضوا الانصياع إلى أوامر الشرطة فسقط منهم مجموعة كبيرة من القتلى قال الأسبان انهم اثنا عشر ، وقال العرب انهم فوق الأربعين .. وقبض على عشرات المواطنين وأودعوا السجن من بينهم المحامي الشاب : « بصير محمد ولد سيدي إبراهيم » الذي كان يرأس التنظيم السري المناهض للأسبان ، وبالقبض عليه أوقفت جريدته السرية المسماة : « الشهاب » وكان يصدرها بالمغرب ، ومنذ أن قبض عليه لم يعرف مصيره حتى الآن وتؤكد الدلائل أنه قتل في المعتقل تعذيباً .. وبعدها حاول المغرب أن يستفيد من نقمة الجماهير هذه لحسابه ، فأسس « منظمة الرجال الزرق » كجبهة معارضة للأسبان حوّلها من بعد إلى « حركة ٢١ أغسطس » ثم إلى « الجبهة الثورية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب وسبتة ومليلة » وجعل على رأسها شخصاً مغرباً على صلة بالخبرات المغربية سمى نفسه كاسم حركي « ادوار موحا » اتصل بالجزائر ومكث بها مدة ولما افتضح أمره هرب إلى بلجيكا بعد أن سرق آلتين للكتابة من رئيس حركة تحرير جزر الكناري ، وربما يكون الآن قد عاد للمغرب ليخرج في دور جديد ..

في هذه الأثناء حاولت مجموعة من الرجال ربط الجماهير داخل الصحراء بحركة داخلية بعيدة عن أي تأثير خارجي تدفعه المصالح الخارجية فكان أن تكونت « الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب » ..

واستمدت قوتها من الجماهير العربية باعتبارها رافداً من روافد الثورة العربية

وأعلنت عن انبثاقها يوم ١٠ من مايو ١٩٧٢ م .. بتنظيم ترأسه اللجنة التنفيذية وتتكون من سبعة أعضاء يليها المكتب السياسي ويتكون من واحد وعشرين عضواً ، ثم المؤتمر العام الذي يمثل جيش التحرير . وفجّرت هذه الحركة أول عملياتها يوم ٢٠ من مايو ١٩٧٣ م ... في موقعة « الحنقة » قرب الحدود المغربية ،



واستولوا على مجموعة من الأسلحة . وقد اعتبرت هذه الجبهة أن الكفاح المسلح هو الحل الوحيد والضامن لحرية الشعب في الصحراء ، وإفهام المستعمر بالحديث الذي يفهمه رافعة شعارها القائل : « بالبندقية تنال الحرية » .

كان صاحبي يحدثني بحماس بالغ وبإيمان صادق عميق . وفي هجعة الليل انسل السامرون كل إلى وجهته ، وبقينا وحدنا في مضاجعنا نحاول النوم وأفكاري كلها تتابع شريط الأخبار التي سمعتها قبل قليل ، وعقلي منشغل بطريق الغد التي سنعود معها من جديد ..

الحديث المعاد

يقولون للشيء الممل « أمل من حديث معاد » وكانت طريقنا في الصباح حديثاً معاداً ، لم يكن فيها من الجدة غير مرافقة زميلنا الثائر لنا صاحب العيون الفائرة والذي اتفقنا على تسميته « مهيد » .

وبعد مسيرة يوم وبعض يوم - وقد أثبت مهيد فيها نشاطاً يفوق الوصف - ملنا إلى خيمة بدوية وجدنا فيها الكرم الحاتمي والأنس والأهل ، مزحنا مع أهل الدار وكأنا نعرفهم منذ أيام الصبا .. ورددنا معهم الشعر الحساني . ولوحنا بكيسان « الشاهي » الفارغة كما يفعل أهل تلك الديار ، وشربنا الحليب بالسكر « الزريق » كما يشربون ، وأصر زميلي أن يكتشف حظه فطلب من ربة الخيمة أن تضرب له خط الرمل ، وفعلت دون تلكؤ بعد أن تمتت بأشياء غير مسموعة ووضعت خطوطاً في التراب نظرت إلى زميلي قائلة : إنك ستلتقي بمن تحب ، وقدامك طريق .. و .. و ..

فقمنا للطريق بعد دعوات أهل الخيمة لنا بالسلامة والعودة. نفس الرمال.. نفس المطبات والمنعرجات .. حتى الأحجار التي كانت في الطريق لا تزال في مواضعها وبنفس الطريقة .. ولما :

غاب قمر كنت أرجو غيابه وروح رعيان ونوم سمر
على رأي الشاعر العربي .

دخلنا القرية التي تركناها منذ أربعة أيام مضت ونزل من بيننا رفيقنا « مهيد » ليبعث عن زملائه من الثوار على أن يكون اللقاء بعد ساعتين على قارعة الطريق .

اجتماع في سيارة

أقبل « مهيد » في الموعد المحدد يرافقه الإخوة الذين طال البحث عنهم ، كما

طال بحثهم عنا ، قرابة الساعة الحادية عشرة ليلاً ... ولما كنت لا أملك داراً
وهم أيضاً لا يملكونها قررنا أن ن عقد اجتماعاً داخل السيارة بعد أن نخرج خارج
القرية ونطفئ الكشافات الضوئية ..

خيم الظلام علينا وعلى سيارتنا بعد إطفائنا أنوارها ، وأصبحنا جزءاً مظلماً
ككتلة من الأحجار أو شجرة سدر ..

وانطلق أحد الجماعة يتحدث بحماس بالغ يوضح إيمانه بعرويته وإسلامه
وأهداف الثورة التي تفجرت بالمنطقة وموقف العرب قاصيهم ودانيهم ، وكان
الجميع على رؤوسهم الطير ، فالتحدث هو أحد الكبار المسؤولين في الجبهة
الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ..

كان الظلام يعني من رؤية ملامح الجماعة فرؤوسهم ووجوههم يحجبها الظلام
والعمائم ، ولم أستطع أن أتبين وجه محدثي ولكنني كنت أرى حركات يديه
عندما يبسطها إذا لان الحديث ويقبضها عندما يتحدث عن القوة ..



كانت موقعة « الخنقة » أولى العمليات ، تفجرت يوم ٢٠ من مايو ١٩٧٣ م...

واستطاع الثوار فيها أن يستولوا على جميع أسلحة الدورية الاسبانية ، ولقد كانت خطة الثوار التسليح من الاسبان وتجنب إراقة الدماء بين العرب بقدر الإمكان ، لأن الاسبان يقدمون الجنود الصحراويين للإيقاع بين القبائل .

وكان العدو يلقي في روع المواطنين أن الثورة يقوم بها مجموعة من سراق قبيلة الرقيبات ، ولكن الاسبان لم يستطيعوا أن يثبتوا هذا عندما وجدوا أن الثورة يشترك فيها جميع القبائل .. وحتى أن الثوار ذات مرة وجدوا في جيب قتيلا أسباني « ٤٠٠٠ » أربعة آلاف بسيطة وضعوها تحت رأسه ووضعوا فوقها حجراً ليثبتوا للاسبان أن الهدف من الثورة هو التحرير وليس كسب المال أو السرقة كما يدعون ..

وبعد موقعة « الحنقة » قام الثوار بأكثر من عشرين عملية خسر فيها العدو عشرات القتلى واستطاع الثوار أن يستولوا على عشرات القطع من الأسلحة الخفيفة وأحرقوا عدة مراكز للعدو ، واستطاعوا ذات مرة في مركز « بير الحلو » أن يستولوا على المركز ، ويكتبوا على جدرانهم شعارات الثورة وينسحبوا بعد مدة دون أن يصاب أحدهم بأذى ..

زحف الجند فقتلوا حماراً !!

ما أشبه الليلة بالبارحة ، الطائرات البريطانية في عمان تفقد إحداها نظير بقرة من أبقار الثوار بظفار ..

أما الاسبان فإنهم يفقدون مجموعة من الجند نظير حمار للثوار .

فلقد كانت مجموعة من الثوار يحملون شراهم وطعامهم على ظهر حمار يرافقهم في مسيرهم الشاق ، رابطاً مصيره بمصيرهم ، وقرب جبال « الرغوة » القريبة من الحدود الموريتانية علم بهم الاسبان فزحف الجند من كل جانب ورصدوا حركاتهم بالطائرات العمودية المصفحة وطوقهم ، وانهال الرصاص عليهم من كل الجهات ،

واشتركت الطائرات في قصف المنطقة واستطاع الثوار أن يفكوا الحصار وينسحبوا دون خسائر ، ولكن الحمار كان قصير العمر وكان هدفاً سهلاً لإحدى الطائرات المغيرة فقتل بعد أن سقط من الاسبانين عدة جنود . وهكذا عرف الاسبان أن للحمير ثأراً وأنه غالي الثمن ..

وفي الظلام الدامس شعرت بابتسامة محدثي مستهزئاً ومزدرياً بالعدو عندما وصل إلى هذه النقطة ..

أين الشاهي ؟

إن الحديث بذون الشاهي ناقص التركيز ، خاصة عند البدو في الصحراء ، ولكن أنسى لنا بمحل آمن نحتسي فيه كوباً من الشاي ، في هذا الهزيع الأخير من الليل .. بل أنسى تكون لنا دار لم يكن للرقيب عين فيها ؟ وأثناء الحديث اقترح أحد الإخوة أن نعود إلى القرية لنجلس في دار يعرفها هو ويعرف فيها (تيايا) أي من يجيد إعداد الشاهي ..

وافقنا بالاجماع على اقتراحه وأدركت محرك السيارة عائداً للقرية وما ان امتدت أضواؤها تكتشف الأفق القريب حتى انقلت من أمامنا ذئب يتجسس على القرية عله يجد غرة من القوم فيختطف حيواناً ضعيفاً أو يقتنص طير دجاج ، مقلداً في ذلك الاستعمار في انقضاضه على الأضعف واحترامه للأقوى .. وبعد ازعاجنا لذلك الذئب المتجسس .. شاهدنا ذئاباً أخرى ولكننا لم نستطع ازعاجها فتواجدتها في تلك الساعة المتأخرة من الليل أزعجنا نحن في هدأة ذلك الليل الأليل ..

تعارف جديد

وفي الدار تابعنا الحديث بعد أن أضحي واضحاً لي وجوه المتحدثين وقد ذهبت تخيلاتي السالفة أدراج الرياح كأني تصور بعيد ، فالرجل المتحدث شاب

في الثلاثين ولم يكن كهلاً كما كنت أتصور ، وهو هادئ النظرات تلقى تعليمه بإحدى الجامعات بالمغرب ، كان يحدثنا بهدوء تام كأنه مدرس تاريخ يشرح للناشئة أجدادهم الغابرة ، وكان بين الحين والآخر يبتسم عن صف من الأسنان ، تركت ثنيته العليا محلها منذ زمن مما جعل رصد حركة لسانه بفيه شيئاً ميسوراً ..

وكانت عمام الجماعة السوداء تختلط بسواد لحيتهم الكثة فتزيدها هيبة ...
وتذكرت حينها البيت الذي تمثل به الحجاج :
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا مقى أضع العمامة تعرفوني
ولقد عرف العدو هؤلاء قبل أن يضعوا عمامهم

(دراعتي) البورجوازية..

ولقد لفت نظري لون دراعاتهم التي تشبه التراب بعكس دراعتي الناصعة البياض والتي اشتريتها من سوق الدراعات بثمان مرفوع وكنت أفاخر بها وأنظر لجنباتها بين الحين والحين ، وأدخل يدي في جيبيها الواسع الذي يتدلى على صدري وقد زين بنقوش يدوية ، وأتحسس قلبي ومفكرتي التي لم أخط فيها شيئاً بخافة الضياع وخافة عبث العابثين ..

ولما قلت لهم انني ألبس دراعة مثل دراعاتكم وأريد أن أدخل معكم المنطقة ضحك أصحابي حتى ظهرت عيوب أسنانهم الخفية ، وقال لي محدثي السابق :
إن دراعتك تصلح لأن تكون هدفاً للرماية ليلاً لشدة بياضها كما أنها لباس البورجوازيين في هذه الجهات لفلاء ثمنها ، وخجلت من نفسي فلقد استغشمني البائع وجعلني من طبقة جشعة غير طبقة الثوار ..

إن ملابس الثوار بسيطة ومموهة لتساعدكم على التنقل والتخفي ..

الرحلة الشاقة

استرحنا بالقرية يومين نعد فيها لوازم السفر ، وفي صباح اليوم الثالث انطلقنا نحو الشمال بعد أن تواعدنا مع الثوار على اللقاء بهم على مسافة ألف كيلومتر لنقطع بعدها معاً ثلاثة آلاف أخرى تتخللها رحلات بحث عن الثوار في جبالهم ووديانهم ، وهم وحدات متنقلة ، إذا ما سمعت عنها اليوم في محل لا تبين إلا في غيره ، ورصدها من الأمور الشاقة المتعبة ، كمن يحاول إصابة ثعلب أثناء روغانه ..

لم يكن ذلك الطريق غير طريقنا الأول وقد صرنا فيه أخبر من القطاة حيث تمكنا من بلوغ قريتنا المنشودة بعد يومين من السير الشاق ، رقست فيها سيارتنا آلاف الرقصات وغاصت في الرمال عدة مرات لم يسعفنا في أحداها إلا مجموعة من السياح والسائحات جاءوا للتمتع بشمس الصحراء الدافئة في هذا الربيع المجدب الذي يتخذ الأجانب من بؤس أرضه وأهله منظراً للسياحة .. كنا نشاهد على طول الطريق الهياكل العظمية المتناثرة لحيوانات نفقت من الجفاف ، تذررو السافيات جماجها ، وسلاسلها توحى لرائيها رهبة الفناء ووحشته ، ومع ذلك شاهدنا الغربان تطير في سماء الصحراء وكذلك بعض طيور الحبارى .. ماذا تأكل ؟ .. لست أدري ..

رجلان وكلمة سر

قضينا ليلة بتلك القرية النائية ، لم تكن أحلامي ليلتها سارة في تلك السويعات التي حسبت من نومي ، وفي الصباح الباكر خرجنا منها للقاء الرجلين اللذين كلفا من قبل الثورة لمصاحبتنا إلى مضارب الثوار . ولكننا لا نعرف الرجلين فكيف نفرق بينهما وبين من يريد أن نحمله في الطريق كعابر سبيل أو عابر

أحابيل .. (وأخيراً) اتفقنا معهم على أن يتمم أحد الرجلين بعمامة صفراء
والآخر بعمامة سوداء ، وأن تكون كلمة السر : « انت ينصركم الله فلا
غالب لكم » .

وما ان خرجنا من القرية وابتلعنا الصحراء الشاسعة الموحشة - والطريق فيها
كمسارب النمل خطوطاً في الأرض تتوازي وتتقاطع - حتى لاح لنا الرجلان
بعمامتيهما المختلفتي الألوان ووقفنا بجانبها فاقترب صاحب العمامة الصفراء هامساً
لي بكلمة السر ففتحناهما أبواب السيارة وركب المتعمم بالصفار بجانبني وكنت
أجاذب معه الحديث .. كلما شعرت برغبة في الحديث .. وكثيراً ما يفضل
الانسان الصمت في هذا البحر الصامت من الصحراء الساكنة ..

عرفت أنه أحد الشباب المثقف بالمنطقة ، واصل دراسته خارج الصحراء
في إحدى الجامعات بالخارج على حسابه الخاص ، ونظراً لنشاطه السياسي قضى
عدة سنوات في سجون اسبانيا بالصحراء .. يجيد عدة لغات منها الاسبانية
والفرنسية إلى جانب العربية ..

ولما أنس بالجلسة كشف عن لثامه فظهرت لحيته الحمراء التي جعلته مع عينيه
الخضراوين وبشرته البيضاء الضاربة للسمره كأحد المستشرقين الذين اتقنوا
عادات الصحراء وطباعها .

الانتقام الاسباني

كان صاحبي يحدثني عن انتقام الاسبان من الأهالي بعيد كل عملية ناجحة
يقوم بها الثوار ، فهم يمرون بطائراتهم العمودية على ارتفاع منخفض فوق الخيام
فيطربونها في الهواء ، وكذلك كانت تفعل بلباس النساء والأطفال مما يبعث
الرعب والفرع في نفوسهم ، ويدخلون بعدها جندهم للخيام فيبددون المواد الغذائية
بمحجة البحث عن الثوار والأسلحة ، ولكنهم في الواقع يريدون تجويع السكان
حتى لا يفكروا في الثورة أو مساندة الثوار ..

ولقد قبضوا ذات يوم على عامل من عمال فوسفات بوكراع واشبعوه ضرباً
ولكماً ثم ألقوه من طائفة عمودية أمام العمال لارهابهم ، وحجة الاسبان أن
الجنة التي يلبسها هذا العامل تشبه جبة الثوار .. إذن هو واحد منهم .

كما قبضوا على خادمة سوداء ترعى الغنم فربطوها بحبل من عنقها إلى غصن
طلحة مرتفع كما تربط الشاة بعد أن ربطوا يديها للخلف لأنها لم تعلمهم عن مواقع
الثوار .. وبقيت على هذا الحال يومين كاملين إلى أن عرف أهلها مربطها وأطلقوها
وهي في الرمق الأخير ..

وهنا انطلق زميلنا السائق بصوته الاجش يردد أغنية موريتانية نسي لحنا
الأول وألف لها لحناً جديداً خاصاً به هو أبعد ما يكون عنها ..

« قوات أريامو كاملات

في الضيق منين يفاتن »

فلقد منعه ضجيج محرك السيارة من تتبع الحديث معنا ومل الصمت
فضحكنا للاغنية غير المنتظرة وفي غير محلها ومع ذلك فهي غير متقنة ..

طلحة = قصر

مالت الشمس للزوال .. وليس في هذه الصحراء الجرداء شبر واحد يمكن
أن يستظل فيه الانسان ؛ وعلى البعد شاهدنا طلحة يابسة فاستبشرنا بها وكأنها
قصر منيف .. وضعنا تحتها أمتعتنا وتفرقنا نجتمع الحطب الذي أصر هو الآخر
على عدم الاقتراب من طلحتنا أو من قصرنا الذي عثرنا عليه ..

جلسنا نلوك خبزاً يابساً مع بعض الشواء ، وعلى امتداد البصر تلوح قطع
جبلية سوداء غارقة في زرقة السراب ، ومع أنها جبال عربية في أرض عربية
وسكانها عرب إلا أن الوصول اليها من المنوعات علينا لأن الاسبان
يريدون ذلك ..



ان الانسان في هذه الصحراء لا يساوي شيئاً ، فهو كعصفور تائه في فضاء
ملبد بالغيوم ، فقبل وصولنا إلى هذه الطلحة شاهدنا خيمة هدمتها الرياح ، وأتى
السافي على جنباتها وبدخلها رجل مريض استوقفنا صاحبه وطلب منا أي شيء
يمكن أن يسعفه . ورغم أننا ناولناه بعض الأقراص المسكنة لوجع الرأس ..
فقد يكون الان قد مات كما تموت الأشياء الهزيلة في هذا الجفاف القاتل وهذه
الصحراء الكالحة .. وربما إذا مر غيرنا من بعدنا يجد جمجمته ملقاة بين جماجم
حيواناته النافقة وقد لا يتوقع انها جمجمة انسان تغيس تلاقى عليه الاستعمار
والجفاف ، وهما مصيبتان إذا التقتا على أرض هلك أهلها ، ان وراء تلك الجبال
السوداء يقطن أهل هذين الثائرين ، ولكنها لا يستطيعان الوصول اليهما ، ففي
فترة الصمت أثناء تناول الطعام رأيت عيونها باتجاه الصحراء شاردة ، وربما
كان قلبهما في خيام الأهل يداعبان الأطفال العراة ، يا لقسوة الاستعمار ..
فاحترمت صمتها ولم أقطع تفكيرها طوال اللحظات تلك

شهداء الثورة

واصلنا السير بعد أن تركنا فتات خبزنا يلتهمه النمل الجائع.. قفزت السيارة عدة مرات فوق الحفر والمطبات وقبل سقف السيارة رؤوسنا بشيء من عدم الاحترام ، وعندما استقامت السيارة في طريقها واستقام خلفها موكب الغبار سألت صاحب اللحية الحمراء : كم شهيداً سقط للثورة منذ أن تفجرت أولى عملياتها ؟؟

فأجابني : لم يسقط لنا ولا شهيد واحد باستثناء الأخ « بصير محمد » الذي سبق وأن علمت أنه قبض عليه ولم يعرف مصيره ...

ولكن الاسبان قبضوا لنا على الأخ « محظي » جريحاً بعد أن أسقط وحده أكثر من عشرين قتيلاً من جنود العدو وذلك في معركة « قلب الحمار » والقلب هو الجبل المنقطع في الصحراء .

فقد كان « محظي » هدافاً بارعاً ولما لم يستطع الجند الاسبان اصطياده بالبنادق ركبوا مدفعاً ونسفوا موقعه فجرح وقبض عليه ومعه أربعة من رفاقه وقد نفدت ذخيرتهم وقد حاول الاسبان قتله ولكن الجنود الصحراويين حموه وأوصلوه للمستشفى حيث تكونت مظاهرة بالعيون احتجاجاً على اصابة « محظي » وبالرغم من أن اصابته غير قاتلة فقد تضاربت الاراء حول مصيره فمن قائل أنه قتل بالمستشفى ومن قائل انه لم يمت بعد . والخبر اليقين عند الاسبان ..

ورجعنا للصمت والسيارة تركض في الطريق الممل ، كل منا كان يفكر في شيء ربما يخالف تفكير صاحبه .. ان دوريات الاسبان كثيراً ما تتوغل داخل الأراضي العربية المجاورة ، وقد تختطف شخصاً أو أشخاصاً وتهدهم بالضرب ليخبروها عن مواقع الثوار .. وقد تكون إحدى هذه الدوريات تقبّع الان أمامنا تسد الطريق الذي نسلكه وان حدث ذلك حتماً فسنقاد كما تقاد النعاج دون

أية مقاومة .. فالثوار خارج حدود المنطقة لا يحملون أسلحة سوى المسدسات الخفيفة .. بعكس ثوار ظفار الذين يتحركون من أرض محررة لها امتداد إلى أرض مستقلة ..



لاحت لنا قرية لبيوتها بياض تعكسه أشعة شمس المساء الغاربة ، للأسبان بها عيون خشيناهم على كشف ثوارنا فقررنا إلقاءهم دون القرية على أن نلتقي في فجر الغد وراء القرية من الجهة الأخرى ، وأن يقطعوا هذه المسافة على الأقدام ليلاً .. فالليل خير ساتر في الصحراء ...

خيمة شيوعية

ملأنا خزان السيارة بالبنزين ، وكذلك احتياطيها من الأوعية ، وتجاوزنا القرية بعدة كيلومترات وراء مجموعة من الجبال .. ملنا إلى سفح احداها وأوقفنا السيارة وأخرج زميلي خيمة له كان يفاخر بها كلما ذكرت الخيام والصحراء ..

جعلت من نفسي لتلك الخيمة الصغيرة مرشداً في طريقة بنائها لأنها تشبه
خيام الكشاف تلك الحركة التي أفخر بالانتساب إليها .. فلقد علمتني الكثير ..
ان خيمة زميلي من صنع الصين حمراء اللون ، براقه المنظر ، فراشها ملتصق
بجنباتها بها نافذة خلفية أصر زميلي على فتحها رغم الهواء البارد الذي كانت
ترميننا الصحراء به مساء ذلك اليوم .. وفي أقل من خمس دقائق كانت تخفق
لرياح الغرب الباردة وتنعكس على ظهرها حمرة الشفق فتزيدها على حررتها
احمراراً .. وما أن أظلم الليل حتى كانت نارنا تضيء وجهين ومقدم خيمة وعلى
ركن منها يغلي براد الشاي وعلى الركن الآخر يشوي ريفي قطعة من اللحم
« بقية شاة ذبحت لنا في آخر قرية بتنا بها أصر أهلها على تزويدنا بها » وكلمة
عسمس الليل صارت نارنا تخبو رويداً رويداً كما تخبو الثورات عند من لا يداوم
على إذكائها .

النوم في شكارة

اقترحت على ريفي أن ينام أحدهما بالسيارة والآخر بالخيمة ، حتى إذا ما
عدا علينا عاد ونحن في أرض نجعلها لا يستطيع مباغتتنا الاثنان معاً ، خاصة
وان الخيمة إذا ربط فوها تصبح كالكيس ونحن بداخله ..

ولكن زميلي أصر على اقتراحه بالنوم في الخيمة .. فهي دافئة الجوانب ..
واسعة الأرجاء مستطيلة البناء .. والاعرابية قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه

أحب إلي من قصر منيف

ولا زال بي حتى زينها في عيني وحقر النوم داخل السيارة ، فنزلت على
رأيه وافترشنا فراشها ونمنا أو بالأصح تمددنا بداخلها فإذا بها عافاك الله .. انها
صنعت كالمرآة المقمرة خصيصاً لتجميع البرد وصبه في عظام العبد لله المقفرة ..

والبرد في الصحراء يخاطب العظام رأساً .. ولقد بت أنقلب وأنكش وأتمدد
ورأسي قرب فتحتها المساء « باب » أخرجه بين الحين والآخر أتطلع للفجر
عله ينقذني من هذا البرميل من الماء البارد الذي تمددت فيه ..

وقد علق زميلي على إخراج رأسي بين كل لحظة وأخرى لمتابعة النجوم :
« إنني أشبه براكب الحافلة الذي يتطلع للمحطة التي يريد النزول فيها »
وعند الفجر كان أول عمل عملته أن طويت تلك الخيمة الملعونة وأنا أسب
سنسfil صانعها ومشتريها وحتى النائم فيها ..

وما أن حز منا أمتعنا في ذلك الفجر البارد حتى انطلقنا إلى المكان الذي تواعدنا
مع الثائرين فيه .. ولكن لم نجدهما .. فلربما أصيبا بمكروه وحتى لا نضيع الوقت
اتكلنا على الله على مواصلة السفر بدونها في رحلة الألف كيلومتر الأخرى ونحن
نجهل الطريق والمعاطن والاحساء ، وحتى مواقع القوم الذين نرغب في
الاتصال بهم ..

عجوز تنقذنا من الموت

كان الطريق يظهر أمامنا حيناً ويختفي أحياناً ترسمه آثار السيارات ،
بعضها مر من هنا منذ عام تتبعه عدة كيلومترات فيصل بك إلى العدم إذ
ينتهي بواد أو جبل فتضطر للدوران والبحث من جديد عن أثر آخر ..

استمررنا على هذا الحال حتى العاشرة صباحاً عندما وجدنا أنفسنا تحيط بنا
سلسلة من الجبال دفننا إليها مهمه منبسط ككف البخيل .. وقد انتهت بنا
تلك الخطوط المتوازية القديمة إلى ديار قوم سكنوا هنا منذ عام أو أكثر
وارتحلوا لم يبق من خيامهم إلا رسوم الدار

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

على رأي الشاعر البدوي .

ومدافن ومبارك إبل ، ولكن أين الطريق الحقيقي ؟ أين موارد الماء ؟
هل من خيام تظهر لنا ؟ لا شيء ..

دردنا حول تلك الديار كثيراً ، وكلما اتجهنا إلى جهة صادفتنا منطقة وعرة
صعب التحرك فيها أو التقدم منها .. ليس هناك ما يبشر بأن طريقاً مرت هنا
حتى منذ أعوام ، ان عظام الحيوانات النافقة في الصحراء لا تزال مرسومة في
خيلتي ، وأكثر زميلي من تسألني عن الطريق وأنا أشير له إلى اتباع هذه الجهة
أو تلك وفي كل اتجاه تعترضنا جبال من الأحجار أو وديان من الطلح والسدر
التي يصعب اجتيازها ..

وأخيراً وبعد نفاذ الرأي قررنا كأسلم طريق أن نعود إلى القرية التي تركناها
بالأمس مساء فلربما أوصلنا البنزين إليها .. وإذا لم نصل إليها أو نفذ البنزين
دونها فإننا ولا شك سنكون كما قال امرؤ القيس : « اني مقيم ما أقام عسيب » .

قررنا العودة وجعلنا وجهتنا جبلاً تظهر في الأفق وتختفي ، انها أغلب الظن
تلك التي مررنا بها صباح هذا اليوم .. وعلى غير انتظار وفي اللحظة التي أدركنا
فيها السيارة نحو طريق العودة وصارت ترتفع وتهبط فوق الأحجار وبينها ..
أثناء ذلك لاح لنا على البعد خيال إنسان فوق مرتفع أمامنا .. هل هو صديق
أو عدو ..؟ من الثوار أو من الأعداء ؟ كل هذا لم نفكر فيه المهم انه انسان
وانه سيدلنا على الطريق أو على خيام ليست بالبعيدة من هنا ..

استبشرنا برؤية الخيال فاتجهنا إليه وما أن اقتربنا منه حتى تبيناه عجوزاً
بدوية تحمل برميلاً باتجاه البئر لتملأ الماء ويجوارها فتاة جالسة تصلح حبل برميلها
فكأننا - والحق يقال - وجدنا نجدة من الجيش ونحن نخوض معركة كدنا
نخسرهما « ونصيحتي للذي يريد أن يسبر أغوار الصحراء أن يتذرع بالصبر
وبأعصاب من حديد ، وألا يرتبك لأدنى عارض ، وإذا كانوا جماعة فيجب ألا

يظهر بينهم الشقاق حول الاتجاه الصواب وأن تكون الثقة في شخص واحد هو الذي يسير الاتجاه الصواب، وعندما يعجز عن معرفة الطريق يتنازل عن الخبرة إلى شخص آخر .. لأن اختلاف الرأي يعقبه انفرط عقد الجماعة وبالتالي الموت المحقق ، وإذا افتخرت بشيء وأنا الآن بمنزلي بطرابلس في تلك اللحظات الحرجة فهو قوة أعصاب زميلي وجلده ، وعدم مناقشته لي في شئون الطريق وممراته ، كما كان هو مسئولاً مسؤولة كاملة عن شئون السيارة التي لا أناقشه في شيء مما يخصها ورغم ضياعنا في ذلك التيه المقفر فلم تنزل معنوياتنا ولم يكف زميلي عن التنكيت .

اقتربنا من العجوز ونحن نسلم بحرارة كأننا نعرفها منذ سنين وسألناها عن الطريق ، فاعتلت صخرة وأشارت بيدها للجنوب نحو جبل منقطع غارق في الرمال كالقدر المنكفي، وهي تقول « ان الطريق تمر بزره » أي تمر بجانبه .. قطعنا حوالي خمسة وثلاثين كيلومتراً حتى التقينا بالطريق ، والطريق في هذه الصحراء عبارة عن آثار جديدة للسيارات ، وما أن وطئتها عجلات سيارتنا حتى كدنا أن نعانقها أو على قول قيس :

وأجهشت للتوباد لما رأيته

وكبر للرحمن لما رأيته

تمدد الغبار في صف طويل خلف سيارتنا وهي تنتفض فوق الكثبان الصغيرة ، ولم نهتم كثيراً بالقرية التي مررنا بها وكان جل أهلها منشغلين بلعبة أرضية كالشطرنج ، قليل منهم من رفع رأسه ليلقي علينا نظرة غير مبالية باستثناء شخص واحد ألح علينا أن نتناول كأساً من الشاي كنا في الواقع في حاجة إليه ..

واصلنا السير وعلى يسارنا طول الطريق أرقام من الحجر يحاول الاسبان أن يجعلوا منها حدوداً للأرض التي يحتلوها ، تقف في شموخ حتى ليخيل إلينا أنها تمد ألسنتها مستهزئة بنا ..

ان هدم هذه الأرقام حلم يراودنا ولكن « العين بصيرة واليد قصيرة »....
خيم الظلام علينا وعلى سيارتنا وعلى الطريق ، وامتد كشاف السيارة أمامنا
كمساعد ليرينا خطوط الطريق الحائلة ، ولقد بلغ بنا التعب مبلغه ، فمذ عشرة
أيام لم ننعم بحمام ماء ، وصرنا حين نهرش رؤوسنا نغمض أعيننا من التراب
المتساقط منها .. والسير في الصحراء ممل .. بل فوق الممل .. فقاطعها كأنه
ينظر لشريط من منظر واحد . وفي التاسعة ليلاً لاحت لنا أضواء ساطعة
صارت تتجلى كلما اقتربنا منها .. ظنناها باديء ذي بدء أنوار قافلة متعبة مثلنا ،
ومع ذلك طربنا لمرآها ، وجعلت لسيرنا حافزاً كهدف نسعى للوصول إليه
وما أتعس السائرين بدون هدف .. وفي العاشرة والنصف بلغنا الأنوار، انها مدينة
« تندوف » أقصى مدن الجزائر جهة الصحراء ومركز تجمع القوافل في القديم
وملتقى الطرق بين المغرب وموريتانيا والساقية الحمراء ومالي والجزائر ..
والمدينة التي شهدت الحرب بين الأشقاء المغاربة والجزائريين بعيد استقلال الجزائر
وذلك للاستيلاء على مناجم الحديد فيها بمنطقة الجبيلات ..

في تندوف

ملنا إلى فندق أنيق أكثر بكثير مما يطمع به أي قاطع لتلك الصحراء
الحالية ونحن نحلم بعشاء فاخر وحمام منعش بعد عشرة أيام من الارهاق والتعب ،
صعدنا درج (فندق المقار) وفي غرفة بسريرين تمددنا بدون عشاء وبدون حمام
فالماء لا يوجد إلا ساعتين في النهار والمطعم مغلق الأبواب لا يشتغل لعدم وجود
نزلاء .

رفعنا إلى عامل الفندق احتجاجاً شديد اللهجة لعدم وجود العشاء والماء
ونظراً لروابط الدم والجوار والدين واللغة كما كانوا يلقوننا في المدارس أحضر
لنا شيئاً من البطاطس المقلي مع قطع من اللحم وتنعم علينا أيضاً « بسطل » من
الماء المقلي مسحنا منه على رقابنا وأيدينا ورؤوسنا ، وذهبنا في نوم عميق وفي

الصباح علمنا أننا النزلاء الوحيدون في هذا الفندق يقوم على خدمتنا أحد عشر عاملاً يتقاضون راتبهم من الدولة فجميع الفنادق مؤمنة ، وعندما تركونا بدون غذاء في اليوم التالي سألنا عن السبب فقبل لنا « اللي يشري من السوق واحد كسلان » ونظراً لوجود كسلان من الأحد عشر عاملاً وجب علينا أن نبقي بدون غذاء !!.

في ضيافة الثوار

لنترك الحديث عن « تندوف » لوقت آخر ونروي كيف استضافنا الثوار ذات ليلة من الليالي الأربع التي قضيناها بتندوف ..

كان الهلال رفيعاً في الغرب ينسحب للأفق بهدوء تام نحو الساقية الحمراء وراء جريد النخل الذي تحركه نسائم الربيع المنعشة عندما رافقنا أحد الثوار مشياً على الأقدام إلى دار يقطنها مع زملاء له كلهم مناضلون .. وعلى حصير متواضع قديم وحول مصباح مغبش ضعيف الإنارة تجمعنا نستمع لقصة شاب من أولاد دليم خرج من السجن لتوّه ..

السجون في الصحراء

كان الشاب نحيل الجسم براق النظرات ، لا يكف عن التدخين من غليونه العربي القديم ، وقد برزت عظام أضلعه من فتحة دراعته ..

ان السجن في الصحراء قطعة من الألم والأشياء التي تشاد كل يوم هي المعسكرات والسجون .. يقبض على الانسان لأتفه الأسباب ، وخاصة بعد تفجير الثورة .. فلقد أصيب الاسبان بالجنون وصاروا يقبضون على كل أحد دون استثناء ..

ففي سجن « الداخلة » المكون من ثلاثة طوابق عذبت بالكهرباء وبتسليط

التيار البارد حتى أتجمد، ومن بعده التيار الساخن حتى أحترق، وجلدت بالسياط،
أما اللكم والركل بأحذية الجنود فهذا من الأشياء التي نعتبرها أكلات خفيفة ..
وبعد التعذيب يوضع السجين في قبر حائطي لا يستطيع التحرك فيه يقضي
حاجياته في نفس المحل ..

وسألت الدليمي عن صديق لي كنت أعرفه منذ زمن، يدعى محمد سعيد الرقيبي
قليل لي ان الاسبان اعتقلوه أجنبي: ان هناك مجموعة من المساجين من بينهم صديقك
هذا بسجن (الداخلة) وهو رجل ذو معنويات عالية، فرغم أنواع التعذيب التي
تلقاها في بداية سجنه وتعمده من الناس حتى صار يعتقد أن كل من يقف بجانبه يريد
أن يصفعه فيتقيه ببدية إلا أن الاسبان لم يستطيعوا أن يتحصلوا منه على شيء
ولم يعترف لهم بما يريدون، فالإنسان أثناء العذاب المنصب عليه من سجنائه يفقد
الإحساس بالألم من الدقائق الأولى وبعدها يعذبون شيئاً غير موجود .. ومع ذلك
يصرون على وضع آلات لتسجيل التأوهات متوقعين أن السجين قد يتفوه بما
يفيدهم في التحقيق .. وعلى رأس سجن الداخلة الضابط الاسباني الجلاد (بارباديو)
وتفسير اسمه (حية الله) وهو من الجلادين المشهورين باختراع التعذيب وابتكار
وسائله .

وفي أحد الأيام أراني صديقك هذا قصيداً كتبه على سرواله في غفلة من
السجانين طلبت منه أن يكتبه على صدري وقد فعل والقصيد يقول :

فتح الطفاة بنادق الارهاب	وبنوا سجوناً ضخمة الأبواب
متطلعين على المنابر خدعة	متجاهلين بهجة الاعجاب
ويمزقون بلادنا بشراسة	ويحرمون تعدد الأحزاب
ويزاولون تعسفاً وتعنتاً	بتخبط متجاوز الأطناب
والحق ليس بمختلف لمعانه	والشعب يعرف صولة الكذاب
والنور يخفق ساطعاً ببلادنا	والنار تنذر حفنة الأذئاب

فحذار من غضب الشعوب فإنه متوهج متمسك الأقطاب
والشعب ان رفع الرؤوس مآله يقضي على التخريب والإرهاب

ولقد اعترف الحاكم العسكري الاسباني بالصحراء بدور هذه الثورة في
خطابه الأخير الذي ألقاه في مجلس الجماعة بالصحراء ، والذي قال فيه :

« ان أولئك الذين يحاولون القيام بأبشع الأعمال ضد الكيانات الصحراوية
سوف توضع حسنات أعمالهم في ميزان مثقوب ويزدادون نكبة على فضيحة ..
إلى أن يقول :

« ان أولئك الذين ذكرت هم الذين يقومون ببعض الأعمال المشوشة من
الخارج .. لكن سيرون نتائج أعمالهم التي ستؤدي بهم إلى فشل ذريع في مستقبل
قريب وسوف يصبحون لا وطن لهم ويلقبون بأصحاب الاجرام ..



« ان الحكومة الصحراوية تتلقى هذا كله بصبر وعزيمة ، ولا يعتقد أحد
أنها ضعيفة وليس بوسعها القيام باللازم .. ونعرف أن الصبر له حد . لذلك فإن

الذي يعتدي على الصبر أو يعتدي على الأعمال الصالحة ، سيري بلا شك عاقبة اعتدائه ولكم تدركون أن الطبيب لا شفقة له ، والإنسان إذا كان مريضاً فإن الطبيب يبذل كل جهده في سبيل علاجه ، وإذا كان المريض يعاني من مرض في بعض أعضائه يخاف منه على الجسم كله فإن ذلك العضو يجب قطعه ، إذا رأينا أن أعمالاً قام بها ضد الذي يتمتع به الشعب الصحراوي بكل سعادة .. واجب علينا اتخاذ التدابير اللازمة لأن مصلحة الشعب الصحراوي مسألة مقدسة عندنا .. ويجب علينا الدفاع عنها لأن اسبانيا فرضت على نفسها حماية هذه المقدسات وقيامها ، بهذا الواجب يعد من قبل مصلحة الشعب الصحراوي .. ،

هذا هو منطق المستعمر الأعوج .. الإنسان الذي يطالب بحريته واستقلال بلده يعتبر عضواً مريضاً يجب بتره ..

وهنا سألت الشاب الدليمي :

— وهل هذه هي المرة الوحيدة التي دخلت فيها السجن ؟؟

أجاب :

— لا ، ان دخول السجن بالنسبة للصحراويين أصبح شيئاً معتاداً وكأنه من لوازم العيش في الصحراء .. فبعد دخولي السجن وتعذيبي فيه ولما انتهت المدة التي أرضتهم لبقائي بالسجن أخرجوني وسلموني للمغرب حيث أودعت في أحد سجون المغرب وبقيت فيه مدة لا تقل ألماً عن السجن في الصحراء ..

وفي غفلة الحراس الذين قلما تحوز منهم غفلة هربت من السجن ومن المغرب والتحققت بالثورة ..

وبعد منتصف الليل خرجنا كالأشباح ليقذفنا الظلام القاتم إلى الفندق ... وفي السكون الذي لا يقطعه إلا نباح كلاب البدو المنتجعين حوالى المدينة صعدنا إلى غرفتنا للنوم ..

وبعد أربعة أيام من الإقامة بتندوف واصلت السير بالسيارات العامة بعد أن
فارقت زميلي وسيارته . حيث قطعت ألفين من الكيلومترات باتجاه العاصمة
الجزائرية . والقي منها امتطيت الطائرة لطرابلس .

وفي طرابلس وجدت أمامي احتجاجاً من وزارة الخارجية الجزائرية لأنني
شوهدت أوزع مناشير خطيرة في الجنوب !! ولم تكن تلك المناشير غير بعض
النسخ من مجلة الوحدة العربية أعطيتها لمسئول الحزب هناك للاطلاع على هذه
المجلة .. والله في عربه شئون !!

موقف الدول المجاورة

ترددت كثيراً في الكتابة تحت هذا العنوان . لأن سرد الحقيقة قد ينكأ الجراح التي تؤلم الكثيرين .

غير أنني في النهاية قررت الكتابة باعتباري مواطناً من هذا الوطن الكبير تهمني همومه وتسرفني مسراته ..

ولأن الحقيقة إذا سكت عنها فسح المجال للباطل الذي يطبل برأسه كلما احتجب الحق أو حيل دونه .

ولا أدل على ذلك من باطل أشده هذه الأيام وأقرأه كمحاولة لسرقة الثورة من مفجريها . وانتحال شخصية الثوار والاستحواذ على مكاسبهم التي حققوها بالعرق والدم . طيلة أكثر من خمسة عشر شهراً متواصلة من الكفاح المسلح الجاد .

فلقد فجر الثوار في الساقية الحمراء ووادي الذهب ثورتهم بمعزل عن كل الأنظمة المجاورة . وبأهداف ثورية لا تروق لحكام المنطقة .

فالجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ، هدفها التحرير وهدفها الوحدة العربية على أساس تكافؤ الفرص . وعلى أساس التوحيد مع النظم العربية التقدمية حتى لا تتسع رقعة الرجعية العربية . وحتى لا يتسع مجال النفوذ الأجنبي في الأراضي العربية .

فالمغرب الذي أشهد هذه الأيام تحركه السياسي والاعلامي بحجة تحرير الصحراء . أين كان منذ عام ١٨٨٣ ؟

ولماذا لم يثر هذا الموضوع منذ أعوام ؟

ولماذا لم يتحدث عن الصحراء قبل أن تنفجر الثورة الشعبية فيها ؟

ولماذا كان صوت الجمهورية العربية الليبية في اجتماع وزراء خارجية منظمة الوحدة الأفريقية عام ١٩٧١ هو الصوت الوحيد المطالب بإضافة الساقية الحمراء كمنطقة أفريقية يجب تحريرها ؟

ولماذا كان صوت العقيد معمر القذافي هو الصوت الوحيد المطالب بتحريرها عام ١٩٧١ وما بعده من أعوام ؟ وقد يذكر الموريتانيون خطاباً له بإطار إحدى مدن الشمال الموريتاني بالقرب من الأراضي الصحراوية طالبهم فيه بالتكاتف لتحرير الصحراء .

وفي الكلمة التي ردّها العقيد القذافي على سفير إسبانيا أثناء تقديم الأخير أوراق اعتماده في طرابلس قال له : « يجب أن ترحل إسبانيا من الصحراء والا وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه معها وإن صداقتنا لا قيمة لها ما لم تستقل الصحراء . ولماذا كان عبد السلام جلود رئيس الوزراء الليبي هو المسئول العربي الوحيد الذي طالب فرانكو شخصياً في مايو ١٩٧٤ بالأسراع بتحرير الصحراء . وانسحاب إسبانيا منها .

كل هذا والمغرب غير موجود في الساحة ولا يحرك ساكناً بل ويعقد الاتفاقيات مع الإسبان ويفتح المناطق الحرة على الحدود تجمع الإسبانين والعرب في الطنطان وغيرها . كما يتساهل في فتح الحدود المغربية الصحراوية لدخول الإسبان وخروجهم .

وحق في مؤتمر نواذيبو الذي عقد بين رؤساء الجزائر والمغرب وموريتانيا والذي لم يدم أكثر من نصف ساعة لم يتفق الرؤساء على صيغة لتحرير الصحراء بالرغم من أن المؤتمر عقد من أجلها . . بل كل هم المغرب أن تكون الصحراء جزءاً من ترابه كما كان حرص موريتانيا أيضاً .

وقد كان الاتفاق المبدئي أن تكون الساقية الحمراء التي تحتوي على منجم

الفوسفات في (بوكراع) من نصيب المغرب وأن يكون وادي الذهب الذي يحتوي على النفط من نصيب موريتانيا. أما الجزائر التي أصرت موريتانيا على اشتراكها في الحوار كشاهد عدل لحفظ التوازن تحوز هي الأخرى ممراً ضيقاً يفصل القطاعين لتحزز ميناء على المحيط تصدر منه معادنها الواقعة بالجيبيلات بمنطقة (تندوف) .

ولم يتفق الرئيسان الملك الحسن ومختار ولد داداه على موقع المر فكل منها يريده في حصة الآخر .

وقد استاء الصحراويون من هذا التقسيم . ووجدوا أنفسهم كغنيمة تقسمها الدويلات المجاورة دون أن تساهم معهم في تحرير بلادهم . وهذا ما جعلهم يتكاتفون متفقين على عدم الانضمام لأي من البلدان المجاورة والمطالبة بهم .

وقد حاول المغرب تكوين منظمات صورية الغرض منها اظهار دور المغرب والمناذاة بالانضمام إليه .

فتكونت منظمة الرجال الزرق . و«حركة ٢١ أغسطس» والجهة الثورية التقدمية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب وسبته ومليلية . ولكن هذه الحركات لم يكن لها أي تواجد داخل المنطقة . وانما مهمتها الدعاية فقط . وتسلل المخبزين المغاربة تحت اسمها لجس نبض الانظمة المجاورة - الجزائر وموريتانيا - وحتى الجمهورية العربية الليبية . ولعل قصة (ادوار موحا) ليست بالبعيدة عن الازهان .

ولقد حاولت موريتانيا أن تعمل شبه ذلك بايوائها لبعض العناصر الصحراوية الهاربة من العسف الاسباني لتكون ممن يحمل وجهة نظرها في المنطقة . كما فعلت أيام اللجنة المكلفة من هيئة الأمم لاستقصاء الحقائق .

غير ان موريتانيا لم تفلح في تكوين منظمة تنادي باسمها .

وعندما تفجرت الثورة الشعبية بالصحراء في ٢٠ مايو ١٩٧٣ فوجيء

المغرب كما فوجئت موريتانيا بذلك . وحتى الجزائر لم تكن على علم تام . غير انه مما زاد في حقن المغرب وموريتانيا ان البيان الذي صدر عن الجبهة كاعلان عن تأسيسها في ١٠ مايو ١٩٧٣ يرى ضرورة التعاون مع الجزائر والاستفادة من تجربة ثورة الجزائر كثورة تقدمية في المنطقة . وتجاهل البيان ذكر المغرب وموريتانيا .

ولكن .. هل الجزائر كانت على علم هي الأخرى ؟
أجابني أحد الثوار على هذا السؤال انها لا تعلم . ولكن زججنا باسمها في البيان لاجراجها . وحتى لو رفضت التعاون معنا فانها قطعاً لا تستطيع أن تقف ضدنا .

وهنا قامت الاتصالات بين المغرب واسبانيا من جهة . وبين موريتانيا واسبانيا من جهة أخرى لتنسيق الدور وتضييق الخناق على الثورة .

فكان ان قررت المغرب واسبانيا عقد اجتماعات دورية كل خمسة عشر يوماً بين المسئول الاسباني والمسئول المغربي بمنطقة الطنطان لمطاردة الثوار وعدم تسلمهم من الأراضي المغربية واليها .

ونتج عن ذلك أن القوات الاسبانية أصبحت تتوغل أربعين كيلومتراً في التراب المغربي لمطاردة الثوار وقتلهم . والذي يقلت من الاسبان تقبض عليه القوات المغربية وتذيقه أنواع العذاب وتودعه السجن ، ولقد التقيت بمجموعة من الثوار عذبوا بالمغرب لانتمائهم للثورة . وكانت الأسئلة الملحة التي تلقى عليهم هي معرفة هوية الثورة ومن يقوم بتمويلها .

أما موريتانيا فقد ذهبت إلى أكثر من ذلك حيث قبضت سلطاتها «في بئر أم أقرين» على مجموعة من الثوار التجأوا إلى أراضيها في أواخر عام ١٩٧٣ وصادرت اسلحتهم وابلهم وسلمت الأسرى الذين كانوا معهم إلى الأسبان . رغم أن أربعة من الأسرى رفضوا الرجوع إلى الاسبان لأنهم من الجنود العرب ولكن

موريتانيا أصرت على تسليمهم اظهارة لحسن نواياها للاسبان . ولم تكثف بذلك بل كانت تطاردهم على الحدود وتلجئهم للتوغل في الأراضي المستعمرة لتظفر بهم السلطات الاسبانية .

وقد تمكنت مرة أخرى من تسليم مجموعة من الثوار التجأوا إليها ..
وقد اجتمع المسئول العسكري الاسباني بالصحراء مع الموريتانيين في «بئر أم اقربين» بحضور السفير الاسباني بموريتانيا . وبعض الوزراء الموريتانيين وذلك لتنسيق الدور لمحاورة الثورة .

كما زار وفد اسباني مدينة «أطار» إحدى المدن الشمالية بموريتانيا كما تم لقاء آخر بين الاسبان والموريتانيين في بلدة تيملوze وآخر بمدينة العيون عاصمة الصحراء . ولقد سلمت اسبانيا للموريتانيين قائمة المطلوبين من الصحراويين أصبحت بعدها الحكومة الموريتانية تطاردهم وتبحث عنهم لتسليمهم .

أما الدوريات الاسبانية فهي تتوغل داخل التراب الموريتاني دون أن يحدها أحد . وذات مرة في صيف عام ١٩٧٣ توغلت من جهة (قليب الجراد) بين الزويرات والبئر أكثر من ستة وثلاثين كيلومتراً . حتى وصلت إلى منتجع موريتاني قبضت على شخص وحقت معه واستخدمت معه العنف واستاقته إلى الصحراء . ولم يطلق الاسبان سراحه حتى زار حاكم الزويرات الموريتاني بلدة (اوسرد) داخل الصحراء وألح في رجاء المسئولين الاسبان فاطلقوا سراح الرجل بعد أن أشبعوه تعذيباً . محاولة منهم لمعرفة مواقع الثوار .

وبعد هذا ...

تحركت المغرب أخيراً لأنها تعلم أن اسبانيا ستسحب من الصحراء في العام القادم ١٩٧٥ .

وحق تظهر حكومة الملك أمام العالم بمظهر المنتقد الفذ بعثت مراسيلها

لشرح خطة التحرير هذه التي تقول أنها فجرت الثورة من أجلها بالصحراء
بحكمة جلالة !!!

فاستدعت أخيراً النقيب أبا الشيخ ولد أبا علي (وهو من أصل صحراوي
ويعمل بالجيش الملكي) وذلك لمقابلة الملك .

وقد تم ذلك في يوم ١٥ يونيه ١٩٧٤ م . وكلفه بتكوين مجموعة على
أساس قبلي من الجيش أو من المدنيين . وبعد أسبوع رجع للملك ليعطيه الخطة
التي يسير عليها .

ومن جهة أخرى صارت الصحف المغربية تنشر بيانات الجبهة
الشعبية وبلاغاتها قائلة أنها تهدف إلى تحرير الصحراء وإعادتها إلى
الوطن الأم !!!

كما أن المغرب يوعز للجماهير في المغرب أن الجبهة الشعبية لتحرير الساقية
لحمراء ووادي الذهب كونها المغرب ويساندها وهي تتبع له !!

ونظراً للحصار الاعلامي المضروب حول الجبهة الشعبية فمن المتوقع أن
يخرج المغرب مجموعة النقيب أبا الشيخ ليقول أن هذه هي الجبهة الشعبية
لايهاجم الجماهير بصحة دعواه .

ويسرق بذلك التأييد الجماهيري للجبهة الشعبية .

ولقد ذهب المغرب في تضخم دوره إلى حد أنه نسب مرض الجزائر فرانكو
الأخير إلى رسالة بعث بها الملك الحسن شديدة اللهجة بخصوص تحرير
الصحراء !!! ومن العجب أن يتناسى المغرب - وأقصد دائماً السلطة - ان
فرانكو لم يمرض عندما سمع موضوع المطالبة بتحرير الصحراء شفهياً ووجهاً
لوجه من الرائد عبد السلام جلود عندما قابله في مايو ١٩٧٤ .

وقد لا يعلم ملك المغرب أن شعب الصحراء شديد الاستياء من تصريح له لإحدى الصحف الشرقية واظنها مجلة المصور المصرية عندما قال :

« ان سكان الصحراء عبارة عن سراح لي » أي أنهم مجموعة من الرعاة لأغنام جلالته !!

ولقد سمعت من أكثر من صحراوي قولهم « لسنا رعاة للملك ولن نكون ذلك في المستقبل ».

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع أرشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

تلخيص الموقف

ويمكن تلخيص الموقف في المنطقة كالاتي :

١ - موريتانيا ترفض أن يقوم نظام ثوري على حدودها مع العلم أن الشعب الموريتاني جميعه مع الثورة ويقف مؤيداً لها . وهو يؤوي الثوار ويخبئهم عن أعين السلطة . ولكن موريتانيا تحبذ أن تستلم الصحراء بالطرق السلمية من الأسبان بعد رحيلهم إذ أن معظم القبائل الصحراوية لها فروع وأصول بموريتانيا ونسب . وموريتانيا عاجزة عن أن تقود أي تنظيم ضد أسبانيا أو غيرها . وهي أعجز عن حماية ترابها في حالة تصميم الاسبان على مطاردة الثوار أو غير الثوار داخل التراب الموريتاني .

وأمام إصرار المغرب على الاستحواذ على الصحراء والتفرد بها تتمنى موريتانيا أن يقاسمها المغرب (غريمها السابق والمطالب بها) منطقة الصحراء . شريطة ألا تكون والمغرب وجهاً لوجه يفصلها خط وهمي يسمى حدود ، ولهذا تطالب أن تدخل الجزائر كحاجز أشبه بسور برلين بين المغرب وموريتانيا .

ومطالبتها بالصحراء هو نوع من الضغط لإجبار المغرب على التقسيم ..

٢ - المغرب : غير جاد في تحرير الصحراء . ولكن الثورة في الصحراء جعلته بين خيارين .

إما أن يلتهم الثار حين نضجها ويخرج بالغنم وحده وإما أن تستقل المنطقة منفردة يعززها قرار هيئة الأمم القاضي بتقرير المصير لشعب الصحراء على ضوء استفتاء شعبي ومن المعلوم أن اسبانيا تحتل المغرب منطقتي (سبتة - ومليلية)

في الشمال . فإن كان غرض المغرب هو التحرير فلماذا يترك أراضي الحقيقة تحت النفوذ الاسباني ؟

ومع ذلك تسعى لتحرير الصحراء التي حتماً ستتحرر بإرادة شعبها الذي فجر الثورة .

وانطلاقاً من مبدأ قطف الثمار هناك اتفاق بين المغرب وأمريكا واسبانيا ، يقول :

في حالة انسحاب اسبانيا من المنطقة تستولي المغرب على المنطقة مقابل :

أ - قاعدة جوية كبيرة تحتفظ بها أمريكا بالقرب من مدينة الداخلة (الرقية) . وهي القاعدة التي رحلت من طرابلس الغرب .

ب - قاعدة جوية كبيرة تحتفظ بها اسبانيا ببلدة (القوية) قرب الحدود الموريتانية ٢ كيلومتر .

ج - تحتفظ الشركات الغربية التي تدير منجم فوسفات بو كراع بحقها في إدارة المنجم .

د - تحتفظ الشركات الغربية بحقها في إدارة آبار النفط والتنقيب عليه في المنطقة .

وهكذا يخرج الاستعمار العسكري وتبقى قواعده في المنطقة والسيطرة لنفوذه الاقتصادي .

أما إذا وجد المغرب نفسه مضطراً لتقسيم المنطقة بينه وبين موريتانيا نظير سكوتها . والمتوقع أن التلويح بالتقسيم هو الذي أسكتها . وقد سبق للملك أن أعلن عام ١٩٧٢ بعد مؤتمر قمة الوحدة الإفريقية بالرباط أن المنطقة ستقسم بين موريتانيا والمغرب .

وبما أن المعمر الذي سيعطى للجزائر لتصدير منه كميات الحديد بمنجم الجبيلات بمنطقة تندوف الذي كان سبب الخلاف بين المغرب والجزائر عام ١٩٦١ ، واتفق

أخيراً في اجتماع الدار البيضاء بين الرئيس هواري بومدين والملك الحسن الثاني على مقاسمة المنجم وتكوين شركة مغربية جزائرية لإدارة المنجم واستثماره ، وتصديره عن طريق خط حديدي ينشأ إلى بلدة أغادير بالجنوب المغربي فإذا حدث وأن أعطيت الجزائر ممرها للمحيط ، فإن الخط الحديدي - الذي لم ينشأ بعد - سيشتق إلى الصحراء وبالتالي يستفيد المغرب بذلك أيضاً .

٣ - الجزائر : ولقد أصبحت الجزائر طرفاً في الموضوع بعد أن حشرتها موريتانيا في مؤتمر نواذيبو . وهي ستربح منها كانت التقسيمات . خاصة وأن الثوار يأمنون جانبها ويركنون إليها أكثر من غيرها . علماً بأنها لم تساعدهم ولم تتفضل عليهم بشيء . وهي أيضاً تتوجس منهم خيفة لأنهم يرفضون تدخلها في شئونهم الداخلية كما يرفضون إعلامها بمخططاتهم السرية .

ورأي الجزائر غير واضح . حتى عندما سئل وزير خارجيتها : لأي جهة تنتمي الصحراء ؟ قال : « إنها جزء من المغرب العربي » . مخافة أن يخرج المغرب أو موريتانيا .

ولقد فرضت الجزائر نفسها كشريك في القضية . وبالتالي فهي مع التقسيم حتى لا تخرج من المولد بدون حصص .

وماذا عن اسبانيا ؟..

أما اسبانيا فهي لن تستمر في الصحراء . نتيجة للثورة المضطربة في داخل الصحراء .

ونتيجة للمطالبة الملحة من الجمهورية العربية الليبية برحيل الاسبان من المنطقة . ولا يخفى مقدار العلاقات الاقتصادية بين البلدين . ولقد صرح الحاكم العسكري بالصحراء قائلاً : « إن الثوار تأتيمهم قهوة الصباح ساخنة من ليبيا » . زد على ذلك نشاط المعارضة في داخل اسبانيا وتدهور صحة الجنرال فرانكو .

وانقلاب الأوضاع في البرتغال . وحرص اسبانيا على علائقتها مع العرب .
ولقد كان المسؤولون الاسبان يرددون نحن لا نمانع في الخروج من الصحراء .
ولكن المغرب وموريتانيا يطالباننا بالبقاء حتى يحسب الموضوع بينهما .

كل هذا يجعل اسبانيا تنسحب من المنطقة عام ١٩٧٥ ولكن كيف ... ؟
بالرغم من الاتفاقات الاسبانية الموريتانية ، والاسبانية المغربية ، فاسبانيا
تسمى لتكوين جبهة معارضة لها صورياً لتمتص نقمة الشعب ، وتسلم لها البلاد
ساعة خروجها إذا ما تملكأ المغرب في الانقضاء على الصحراء أو إذا ما حدثت
ظروف غير مؤاتية له .

وهذه الجبهة متمثلة في الجمعية العمومية (مجلس الجماعة) وهو أشبه بمجلس
النواب ، للصحراء ويتكون من شيوخ القبائل . والاستقلال الذاتي الذي تريده
اسبانيا للصحراء هو تسليم البلاد صورياً لهؤلاء المشايخ .

ولقد خلقت اسبانيا للشيخ «خطري ولد الجماني» رئيس مجلس الجماعة شخصية
معارضة في كثير من المواقف . حتى أنه كان على رأس المظاهرة التي حدثت في
١٧ يونيو ١٩٧٠ بالعيون . وبقي تحت الإقامة الجبرية أكثر من شهرين .

وخطري هذا بالرغم من أنه رجل أمني فهو يتميز بذكاء وقاد . ويرأس قبيلة
الرقبيات إحدى أكبر قبائل الصحراء . وله طموح كبير .

اكتشفته فرنسا أثناء حكمها للجزائر وموريتانيا ولعبت به في موضوع
جمهورية الصحراء التي اقترحها حكم الجنرال ديغول والتي تكون عاصمتها تندوف
وقد كان خطري هذا أحد المرشحين لرئاستها . كمحاولة من فرنسا لاقتطاع
الجنوب الجزائري وشمال مالي وموريتانيا وجنوب غرب ليبيا . ولكن الخطة
فشلت لامتناع شعب المنطقة عن الاقتطاع من الأوطان الأم .

هذا هو ملخص الموقف بالصحراء .

ثورة شعبية تحمل أهداف التحرير والوحدة العربية تشتعل منفصلة عن كل

النظم المجاورة لها .

استغلال الموقف من المغرب للانقضاض على شعب الصحراء وسرقة ثورته .
يشجعه في ذلك ضعف الجارة المجاورة (موريتانيا) ومهادنة نظام هوارى
بومدين له .

تفهم اسباني للموقف العربي المصر في الجمهورية العربية الليبية على تحرير
الصحراء .

مشاكل داخلية في النظام الاسباني تلح بالتفرغ لها .

كل هذا يجعل اسبانيا تنسحب من الصحراء في عام ١٩٧٥ على أرجح
التخمينات .

ونحن هنا يهمننا تحرير الصحراء ، وتخليصها من النفوذ الأجنبي دون أن تبقى
أية ذبول له ، ودون أي تجاهل للثورة في داخل الصحراء . أولئك الرجال الذين
تحركوا في أسوأ الظروف ووسط تراب معادي تحيط به أنظمة غير متعاونة
ومع ذلك ضحوا بكل شيء وفجئوا الثورة واستمرت . ونرجو لها التوفيق
بعون الله .

وإذ نوضح الظروف الحالية التي تمر بها الساقية الحمراء ووادي الذهب ،
لنرجو من العرب كل العرب أن يلتفتوا ويستنهضوا لمساعدة المنطقة على التحرر .
وانضمامها لأي قطر عربي ليس هو نقطة الخلاف فالأمر متروك بعد ذلك لأهل
الصحراء إذا ما تحرروا .

طبع علم مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
بيروت - ص. ب. ٥٦٢٠ - هاتف ٢٩٢-٤٢

دار لبنان للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

٥٠٠

الشمس (٣٥٠ ق.ل
او ما يعادلها)